

جامعة المنصورة
كلية الآداب

الهاشمة لأنف الضلال
من
مذاهب المطرِّفية الجُهال

للإمام أحمد بن سليمان

دراسة وتحقيق

دكتور / عبد الغنى محمود عبد العاطى
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
وعميد كلية الآداب - جامعة المنصورة

مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة
العدد الثانى والثلاثون - يناير ٢٠٠٣



الهاشمة لأنف الضلال

من مذاهب المطرفية الجهال

مقدمة الدراسة :

لعبت تضاريس اليمن دورا مؤثرا فى الحياة الفكرية والعقائدية لسكانه . ذلك أن اليمن يتكون من ثلاثة أقاليم متمايزة هى السهل الشرقى الذى يمتد من الأحقاف جنوبا إلى حدود نجران شمالا ، وسهل تهامة فى الغرب ، ويمتد من باب المندب جنوبا حتى جيزان شمالا ، والمنطقة الجبلية - التى تتميز باعتدال مناخها وكثرة مواردها البشرية والإقتصاديية - التى تتكون من سلسلة من الجبال الحاجزة بين السهلين تمتد من أرض المعافر جنوبا إلى الطائف فى الشمال . ويتراوح ارتفاع هذه الجبال إلى ما بين ألف متر وثلاث آلاف وستمائة متر [١] .

وفى بلاد جبلية كهذه حيث تمزق الأودية العديدة كل جزء من أجزائها وتحولها إلى كتل جبلية منفصلة عن بعضها ، وحيث تتعدد الشعاب ويعظم عمق الأودية وانحدار جوانبها فإنها تنعزل عن بعضها حتى فى الوادى الواحد فإن الإنتقال بين المراكز التى تقوم على امتداده يكون صعبا إن لم يكن مستحيلا [٢] .

---

١ - انظر حسين بن على الويسى ، اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٨ - ٢٦ ؛ أحمد حسن شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٧ ؛ عبد الله بن عبد الوهاب الشماخى ، اليمن الإنسان والحضارة ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٧ - ٨ .

٢ - محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ، التحضر فى الوطن العربى ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٦٤٩ ؛ عبد الغنى محمود عبد العاطى ، عوامل الصراع بين الأيوبيين والإمام عبد الله بن حمزة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٦ .

تميز اليمن فى العصور الوسطى بكثرة التيارات السياسية والفكرية التى انتشرت فيه ووجدت البيئة الصالحة للتطور والنمو . وكان المذهب الزيدى من جملة المذاهب الدينية الوافدة إلى اليمن مع الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين الذى تمكن من إقامة دولة لأئمة الزيدية فى المناطق الشمالية من اليمن . وقد غلب فقه الإمام الهادى وفكره على المذهب فى اليمن حتى صار يطلق على الزيدية بها اسم الهادوية . ومع التسليم بأن كل أئمة الزيدية كانوا من المجتهدين والمجددين إلا أنه تم الحفاظ على الطابع الذى أوجده الإمام الهادى لأكثر من قرن من الزمان . ومع بدايات القرن الخامس الهجرى بدأت تظهر بعض التيارات الفكرية الجديدة بين الزيدية سرعان ما تحولت إلى مذاهب مستقلة عن المذهب الزيدى مثل الحُسَيْنِيَّة والمطرفية ، وهما فرقتان انشقتا عن المذهب الزيدى . ومن ثم فقد ولدا فى اليمن وتلاشيا على مسرحها دون أن يفطن أحد فى العالم الإسلامى إلى وجودهما . ولما كانت هاتان الفرقتان تتميزان بالطابع المحلى الخالص فإن مصادرنا عنهما ظلت محصورة داخل المصادر اليمنية ، وهى المصادر التى حرصت على أن تعكس وُجهة نظر خصومها . ذلك أن الفرق الدينية دأبت على التخلص من تراث خصومها وآدابها فى حال الانتصار على هؤلاء الخصوم سياسيا وعسكريا . ولكن شاء حسن الحظ أن الجزء الذى نجا من التدمير من تراث المطرفية كان كفيلا بتوضيح الملامح العامة لهذا المذاهب وإن كان قد أثار الكثير من الجدل والخلاف .

وقد تباينت الأراء حول نشأة المذهب المطرفى فقال البعض أن المؤسس

الحقيقى لهذا المذهب هو أحد مفكرى الباطنية بناحية الأهنوم [١] . وكان قد تظاهر باعتناق المذهب الزيدى واستطاع بحيله البارعة أن يستغل بساطة العامة فى التأثير عليهم واقناعهم بآرائه ومعتقداته . قال أحد دعاة المذهب الزيدى فى وصف الوحدة الفكرية والمذهبية للزيود فى تلك الفترة - أنه لم يكن « من الشيعة فى هذه الديار بعد الهادى عليه السلام إلا الزيدية ، إلا أن بعض الملاحدة أظهر الدخول فى مذهبهم وتشيع وتنسك حتى قدسوه وهو الجاهل منهم ، ثم ترصد لهم ..... » [٢] . ويقال أنه رأى يوما حبة شعير نبتت فى جانب مسجدهم داخل الجدار . فسألهم هل يجوز لأحد أن يخدش المسجد ؟ فقالوا: لا يجوز ذلك . قال : ولم ؟ قالوا : لأن هذا قبيح ، لو زاد الخدش لخرب المسجد ، وخرابة قبيح . فتركهم أياما ثم سألهم ما تقولون فى هذه الحبة ؟ ألم تخدش جدار المسجد ؟ قالوا : نعم قال : أهذا قبيح أم حسن ؟ قالوا هذا حسن - بناء على ما كانت عليه الزيدية من المذهب الصحيح - قال : ألم تقولوابالأمس أن خدش المسجد قبيح ؟ . ومازال يحاورهم ويناورهم ، وكثرت المناظرات والمناقشات في هذه القضية حتى أقنع معظمهم بأن خدش الحبة لجدار المسجد قبيح وأن الله تعالى لا يفعل القبيح . ثم وصل بهم إلى النتيجة التى يريدها ، وهى أن هذا النبات ليس من خلق الله وإنما هو حاصل من المواد والطبائع [٣] .

---

(١) الأهنوم بطن من همدان من ولد الأهنوم بن شاحذ بن حاشد ، وديارها فى الشمال من حجة فى نواحى شهارة وظليمة حبور والمدان وعذر .

محمد بن أحمد الحجرى ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق اسماعيل الأكوع (١٩٨٤) ، حـ ١ ص ٩٥ - ٩٨ ؛ حسين أحمد السياغى ، معالم الآثار اليمنية ، صنعاء ١٩٨٠ ، ص ٦٩ .

(٢) عبد الله بن زيد العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام . مخطوط مصور من مكتبة الدكتور / رضوان السيد ، ورقة ٥٧ .

(٣) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٥٧ .

وهكذا باتت هذه القضية مثارا للجدل والنقاش بين المؤيدين والمخالفين ، وكل فريق منهم يحاول إثبات صحة وجهة نظره وكسب المزيد من المؤيدين خاصة من بين العلماء وأصحاب المكانة فى المجتمع .

ومن هذه البداية استطاع هذا المتكلم المجهول أن يقنع الناس بآرائه وأن يدخل فى زمرته بعض العلماء والمتصوفة الذين اشتهروا بالزهد فى الدنيا والإنقطاع للعبادة ومنهم مُطَرِّف بن شهاب [١] . وكان أن كثرت المناظرات بين هؤلاء وبين من أنكر ذلك من الزيدية « فصاروا فرقتين فتعصب أولئك على شبهتهم ، واستندوا إلى زُهّادهم ، ولم يجدوا أزهد من مطرف فتبعوه وتسموا بالمطرفية بأنفسهم وبقى المسلمون على بصيرتهم يقولون نحن زيدية » [٢] . ولم يزل مطرف بن شهاب ينشر آراءه ومبادءه بين أتباعه ومريدية إلى أن اكتملت لديهم الصورة الكاملة عن القول بالأصول والإحالة والفطرة والتدبير والطرد والعكس وغير ذلك من الأمور التى صارت تدل على هذا المعتقد الجديد [٣] .

وثمة رواية ثانية تفيد بأن رجلا اسمه على بن حرب هو المؤسس الحقيقى لهذا المذهب وعنه أخذ مطرف بن شهاب أصول هذا المعتقد [٤] . ويبدو هذا الرأى

---

(١) كان مطرف بن شهاب العبادى يعمل حراثا ثم كره ذلك العمل واتجه إلى طلب العلم ، فترك بيت حنبص غربى صنعاء واستعان بما معه من أموال على الدراسة فى صنعاء وريدة على شيوخ عصره .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ، الطبقات فى ذكر فضل العلماء ، نسخة مصوره بمكتبة جامعة صنعاء ، حـ ١ ، ورقة ٤١ .

(٢) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٥٨ .

(٣) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٥٨ .

(٤) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ، ورقة ٤١؛ الروضى ، حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم ، ذوب الذهب بمحاسن من شاهدت فى عصرى من أهل الأدب ، معهد المخطوطات العربية رقم ١٠٥٦ ، ورقة ١٤٠ .

بعيدا عن الحقيقة لأن على بن حرب كان من أصحاب مطرف بن شهاب « الذين أخذوا عنه العلم والعمل وتخلقوا بأخلاقه الكريمة » [١]. ويؤكد ذلك قول الإمام أحمد بن سليمان عن سبب ظهور المطرفية « أن رجلا منهم يقال له مطرف بن شهاب وكان قد درس هو وصاحبان له على رجل من الباطنية يقال له حسين بن عامر » [٢] ويؤدى هذا الرأى إلى القول أن حسين بن عامر هذا هو المؤسس الحقيقى للمذهب .

وهناك رأى أخر يقول إن مطرف بن شهاب كان من أتباع الإمام الحسين بن القاسم (٣٩٣ - ٤٠٣ هـ) وأن آراء الحسين الغريبة ظلت تتبلور حتى غدت مذهبا ومعتقدا جديدا فافترق عنه مطرف [٣] .

أما الأمام عبد الله بن حمزة - وهو أكثر من كتب عن المطرفية وفقههم فيقول عن نشأة المذهب المطرفى . « وكان أول ناجم فى مذهبهم الخبيث أحدثه شيخ من رءوس ضلالتهم يقال له أبو الغوارى من أهل قاعة [٤] فى البون [٥] ، وأن أول

---

(١) مسلم بن جعفر بن جعفر اللحجى ، أخبار الأئمة من أهل البيت ، حـ٤ ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة صنعاء ، ص ٩١ .

(٢) أحمد بن سليمان بن محمد ... بن الهادى يحيى بن الحسين ، الحكمة الدرية ص ١٥٤ - ٣٢٩ ضمن مجموع مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد .

(٣) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ، ورقة ٤١ .

(٤) قاعة قرية من ناحية جبل عيال يزيد قضاء عمران ، على بعد ١٠ كم غربى مدينة عمران . وتقع مابين ١٣ ٣٩ ١٥ شمالا .
١٠ ٥١ ٤٣ شرقا .
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B4 ؛ التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، حـ٢ ص ٣٠٧ .

(٥) البون حقل واسع وينقسم إلى البون الأعلى ومن قراه قاعة والبون الأسفل ومن قراه ريدة . الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ١ ص ١٣٠ .

من تصدى للرد عليه الشريف العالم زيد بن على الذى كان إماما للهدوية فى المسجد الجامع بصنعاء ورئيسا للشيعة بها [١] .

على أية حال فإن الروايات تعددت حول أصل المطرفية ولكنها في النهاية أجمعت على أن مطرف بن شهاب هو الذى بلور هذه الأفكار الجديدة وطبع المذهب بطابعه وصار أبرز دعاته وعلمائه حتى انتسب إليه أتباعه وأطلقوا على أنفسهم اسم المطرفية . وقد حرص المطرفية على إقناع معاصريهم بأنهم لم يأتوا ببدعة جديدة ولكنهم متمسكون بالتعاليم الصحيحة المنسوبة إلى الإمام الهادى مؤسس الدولة باليمن ، ولذا قالوا بأن مطرف أخذ المذهب عن على بن محفوظ بريدة [٢] . وأن ابن محفوظ أخذ العلم ومذهب الهادى عن طريقين « أحدهما عن أبى الحسين أحمد بن موسى الطبرى عن المرتضى محمد بن الهادى ، والأخرى عن إبراهيم بن بالغ الوزيرى عن أبيه عن الهادى » [٣] . كما يذكر أن مسلم عندما سأل شيخه إبراهيم بن على عما إذا كان قد أخذ الإعتقاد من علماء سناع

---

(١) عبد الله بن حمزة ، أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية ، ورقة ٢١٠ - ٢٣٤ ضمن المخطوط رقم Or . 3976 بالمتحف البريطانى ، ورقة ٢١١ . أنظر العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٦ حيث يقول : كان إبراهيم بن أبى الغوارى صاحب قاعة من أعلى البون من بلد همدان وهو من بلد عبد الحميد ، نسبه فى بنى مالك من كبار المطرفية وأوائلهم وأحدث لهم بدعا كثيرة وكان قبل ذلك معروفا من الباطنية ولكنه تظاهر بمذهبهم ودس عليهم . وهذا يعنى أنه تظاهر باعتناق مذهب المطرفية ، ولم يكن مؤسسا للمذهب .

(٢) ريدة بفتح الراء وسكون الياء بالدال المهملة المفتوحة ، قرية وناحية فى قضاء عمران وتقع ما بين

٨َ ٤٩َ ١٥ْ شمالا .

٣٤ ١٠٢ ٤٤ شرقا .

خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠، صفحة 1544AI ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء، حـ ٢ ص ٤٩٠ - ٤٩٣ ، الهمدانى : الحسن بن أحمد بن يعقوب ، كتاب الاكليل ، حـ ٨ ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، دمشق ١٩٧٩ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٣) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٣٢ ، ٤١ .

ووقش ، أو أنه قد التقى بمطرف أو نهد بن الصباح فإنه غضب من هذه الأسئلة وقال « أخذته من شيعة الهادى : أوَ مذهب الهادى قد خفى حتى لا يوجد إلا عند أولئك ؟ أخذت عن عامر بن صعتر عن عامر بن تميم عن أبيه عن جده عن الهادى إلى الحق » [١] وهكذا حرص المطرفية على توسيع قاعدة الدعاة ولم يحصروهم فى فئة معينة ، وإنما ادعوا بأن المذهب كان يؤخذ عن شيعة الهادى ، كما كانوا يستشهدون على صحة أرائهم فى مناظراتهم مع الزيدية بكتب المرتضى لدين الله محمد بن الهادى ، وكتب الإمام الهادى خاصة كتاب المسترشد [٢] .

ومن العسير أن نحدد بدقة الوقت الذى ظهرت فيه المطرفية كمذهب منشق عن المذهب الزيدى خاصة مع عدم التيقن من الشخصية المؤسسة للمذهب . ولكن بمراجعة النصوص المتعلقة بذلك نجد الإمام عبد الله بن حمزة يقرر أن أول من تصدى للمطرفية من آل البيت هو الشريف زيد بن على بن الحسين الذى يصفه مسلم اللحجى بأنه كان من متكلمى المخترعة [٣] . ومعروف أنه تم اطلاق اسم المخترعة على الزيدية بعد الخلاف بين على بن حرب ، وعلى بن شهر ، وهما من معاصرى مطرف بن شهاب . كذلك يذكر أحد دعاة الزيدية وعلمائها أن الشريف زيد بن على بن الحسين رد على مطرف بن شهاب بنفسه [٤] . وهذا يعنى أن التطريف لم يصبح مذهبا إلا بجهود مطرف بن شهاب . وإذا رجعنا إلى ما ذكره

---

(١) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٣٢ .

(٢) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٣ ، ٤ ، سليمان بن محمد بن أحمد المحلى ، البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق ، مخطوط رقم ٦٧٣ بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء ، ورقة ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٣٢ ، ٥٤ .

(٣) انظر ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ح ـ ورقة ٥٦ .

(٤) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ١٣٥ . وهذا ينفى ما ذكره نفس المؤلف فى الورقة ١٣٩ بأن حدوث مذهب المطرفية كان بعد الخمسين وأربعمائة للتاريخ المبارك .

يحيى بن الحسين بأن ظهور المطرفية كان زمن القاسم العياني (٣٨٩ - ٣٩٣هـ). وإلى ما ذكره بأن مطرف بن شهاب كان من أتباع الامام الحسين بن القاسم . فإن معنى ذلك أن مطرف لم يعلن عن آرائه إلا بعد انصرافه عن الإمام الحسين بن القاسم . ومن ثم يمكن القول ، أن إرهاصات المذهب ، والمناقشات التى دارت حول معتقداته ظهرت فى أيام الإمام القاسم العيانى ، ولكن المطرفية كمذهب لم تظهر إلا فى أيام الإمام الحسين بن القاسم ، وربما بعد وفاته فى سنة ٤٠٣ هـ وهكذا انقسم الزيدية فى اليمن مع بداية القرن الخامس الهجرى إلى ثلاث فرق هى : المخترعة الذين وافقوا على بن شهر على قوله باختراع الله الأعراض فى الأجسام [١] . وهو المعتقد الذى يميل إليه معظم الزيدية فى اليمن . والحسينية وهم القائلون بأن الحسين بن القاسم [٢] ، أفضل من رسول الله ، وأن كلامه أبهر من القرآن ، وأنه المهدى المنتظر الذى سيعود ليملأ الأرض عدلا [٣] . أما الفرقة

---

(١) الهادى بن إبراهيم بن على الوزير، تاريخ بنى الوزير ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، ص ١٩٩ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات، حـ١ ورقة ٣٧ ، الروضى، ذوب الذهب ، ورقة ١٤٠ .

(٢) الحسين بن القاسم كان من أجل أهل البيت وأوسعهم معرفة . بلغ عمره اثنتين وعشرين سنة ، وبلغت مصنفاته نحو الثمانين ، وقد حدث له اختلاط فى عقله ، وصدرت عنه أفعال وأقوال شاهدة بذلك منها دعوى الأفضلية على رسول الله وأن كلامه أبهر من القرآن .
ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير، ص ٢١١ ؛ حميد بن أحمد المحلى ، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية ، مخطوط مصور ، صنعاء ١٩٨٢ ، جـ ٢ ص ٦٤ .

(٣) أحمد بن سليمان ، حقائق المعرفة مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، ص ٢٤٧ ، ٢٧٣ ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٣ ؛ حميد المحلى ، الحدائق الوردية ، حـ ٢ ص ٦٤ ؛ ابو سعيد نشوان الحميرى ، الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٢٠٨ ، ٢١١ ؛ ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير، ص ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٢ ؛ يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ١ ورقة ٥٨ ، انظر مفرح الربعى ، سيرة الأميرين الجليلن الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابنى جعفر بن الإمام القاسم بن على العيانى ، مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد ، ورقة ٧٣ ، ٨٦ وقد تكونت معالم هذا المذهب فى حياة الامام الحسين فقد كتب إلى بعض من أنكر إمامته =

الثالثة فهم المطرفية الذين نحن بصددهم . وقد ساعد على تزايد الشقاق والصراع بين هذه الفرق تعطل الإمامة بعد وفاة الإمام الحسين بن القاسم لأكثر من عشرين عاما بسبب إعتقاد أتباعه فى عودته ، وبالتالى فإن أخاه جعفر بن القاسم لم يفكر فى القيام بأمر الإمامة على الرغم من تأييد بعض القبائل له ، واستدعائه لدخول صنعاء ، مع أن الظروف كانت مواتيه ومهيأة ، إذ لم يكن هناك أى شكل من أشكال الدولة فى اليمن الأعلى الذى كان مقسما بين « آل يعفر ، وآل الضحاك ، وبنى أبى الفتوح ، وأولاد الإمام القاسم بن على العيانى» [1] . وربما كان الاعتقاد فى عودة الإمام الحسين بن القاسم هو السبب فى عدم تأييد الشيعة الحسينية لمن تولى أمر الإمامة بعد ذلك من الزيدية المخترعة، بل ومناوءة جعفر بن القاسم لكل من الإمام أبو هاشم الحسن (٤٢٦ - ٤٣١ هـ) والإمام أبى الفتح الديلمى (٤٣٧ - ٤٤٤ هـ) الذى بوفاته تعطلت الإمامة ما يقرب من تسعين سنة ، إلى أن جددها الإمام أحمد بن سليمان .

وإذا كانت الشيعة الحسينية قد نهجت نهجا عسكريا متمثلا فى الجهد الذى قام به جعفر بن القاسم وأبناؤه سواء كان ذلك موجها ضد القبائل المخالفة ، أو ضد الدولة الصليحية ، التى استطاعت بسط سلطانها ونفوذها على معظم البلاد اليمنية [2] - فإن الشيعة المطرفية إستغلوا غياب السلطة السياسية ما قبل قيام

= ومهديته (فإن بلغنى أنك تهجونى وتزعم أنى لست المهدى ، فأنت أنت ومن معك بكل علم أنزله الله والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وبكل علم أنزله الرحمن فما يكون فى علمى إلا كالمجة فى البحر ... وما الفرق بينى وبين الأنبياء الأخيار والأئمة الأطهار إلا فرق بين الليل والنهار) .
أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٤ ، حقائق المعرفة ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ ، حـ ١ ص ٢٤٢ .

(٢) انظر ، مفرح الربعى ، سيرة الأميرين .

دولة الصليحى فى سنة ٤٣٩ هـ ، ثم التسامح المذهبى والحرية الفكرية التى اتسم بها حكم الصليحيين ، فانصرفوا للدعوة إلى مذهبهم وكان سبيلهم فى ذلك المحاورة والمناقشة الهادئة ، فلم نسمع عن المطرفية أنهم لجأوا إلى العنف فى سبيل نشر معتقداتهم ، كما أنه لم يبدو منهم أنهم قد تطلعوا للسلطة أو إلى تكوين دولة . وقام مطرف بن شهاب فى هذه الفترة مع بعض أصحابه فابتنوا هجرة فى سناع [(١)] وبنوا فيها مسجدا ومطاهر ، وأظهروا العبادة والطهارة والزهد واستدعوا الناس إلى الدراسة وجعلوا قواعد دينهم وأساسه أن العالم يحيل ويستحيل [(٢)] وصارت سناع دار إقامة لكثير من فقهاء المطرفية ، فانقطعوا فيها للعبادة والدراسة حتى ذاع صيتها ، وقصدها كثير من العلماء والدارسين . وعقدت بها الكثير من المناظرات بين الزيدية المخترعة والمطرفية . يقول مسلم اللحجى : « كان الحسين بن زايد من المخترعة وكان يذهب إلى سناع للمناظرة إلى أن انقطع وسلم للمشايخ وانتقل إلى سناع » [(٣)] .

وأحيانا كانت المناظرات تستمر لعدة أيام ، من ذلك أن المناظرات والمناقشات بين مطرف بن شهاب ونهد بن الصباح استمرت أربعين ليلة فى سناع [(٤)] . وقد ذكر عليان بن إبراهيم قصه دخوله فى المذهب وتحوله للإقامة بسناع فقال « فأتينا سناع وبها المشايخ الذين من الطراز الأول فلم أحتج مع النظر إليهم وإلى ما هم عليه من الديانة ، وإلى حسن ترتيبهم فيها إلى دليل على فضلهم ...

---

(١) سناع وتكتب سنع ، قرية من عزلة حزة صنعاء ، ناحية بنى مطر .
التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٣٢ ، التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ١ ص ٧٧ .
(٢) أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣١٩ ، يحيى بن الحسين ، الطبات ، حـ ١ ورقة ٤٠ .
(٣) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٥٢ .
(٤) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ١١ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٤٦ .

ثم طالبتهم على ما يعلمون ويتعلمون من الاعتقاد بالأدلة فأتوا بما لا مزيد عليه من البرهان ولا شك معه فى البيان فانقطعت إليه بعد ذلك » [١] .

وهكذا أخذت هجرة سناع تشتهر كمعهد للتعليم خاصة بعد ترتيب الدروس فيها بصفة منتظمة ، وكان الحسن بن زايد أول من عقد مجالس التدريس ، وتعليم الأصول فيها ولم يكن ذلك فى أوقات النهار فقط ، بل ، أنه أقام خلوة للحديث وتلقين المسائل الأصولية للبحث فيها ليلا والسمر بذكر الله وتعليم توحيده فى الليالى ، فكان ذلك مما أضفى على ذلك المكان شهرة بين الناس فذاع صيته بالعلم والعبادة والتعليم وقصده كثيرون من كل جهة . [٢] . ولم يقف دور المطرفية عند هذا الحد بل خرج بعضهم للدعوة إلى مذهبهم فى الأقاليم اليمنية فخرج مطرف بن شهاب ونهد بن الصباح إلى بلاد عنس [٣] حتى وصلا مدينة ذمار [٤] . وكان أهلها مخترعة فنزلا بمسجدها ، واجتمع إليهما الناس . وتصدى مطرف للحوار والنقاش فما انقضى المجلس إلا وقد وافقه الجمهور وغلب على أكثر الناس اعتقاد مذهبه [٥] . كذلك خرج عليان بن إبراهيم للدعوة فى خولان قضاعة [٦] .

---

(١) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٩٩ .

(٢) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٥٢ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٤٩ .

(٣) بلاد عنس ناحية تابعة لمحافظة ذمار .
الحجرى ، مجموع بلدان اليمن ، حـ ٣ ص ٦١٣ ، المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ٤٧٤ .

(٤) ذمار بفتح أوله وثانيه على بعد مائة كيلو متر جنوب صنعاء . وهى عاصمة محافظة ذمار . وتقع بين : ٣٣َ ١٤ْ شمالا ، ٢٤َ ٤٤ْ شرقا
YEMEN . 1 : 250000 , Sheet . 5 .
حسين بن على الويسى ، اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٥٤ .

(٥) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ٤ ص ١١ -١٢ ، يحيى بن الحسين، الطبقات ، حـ١ ورقة ٤٦ .

(٦) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ١٠٢ .
=

على أنه يبدو أن التسامح والحرية التى نعم بهما المطرفية إبان حكم على بن محمد الصليحى وابنه المكرم قد حدث ما عكر صفوهما فى فترة تغلب ، سبأ بن أحمد الصليحى على الدولة (٤٨٤ - ٤٩٢ هـ) . ذلك أن بعض خصوم المطرفية قاموا بالدس عليهم والإيقاع بهم ، فاستجاب الداعى سبأ بن أحمد إلى ذلك وعمل على تخريب سناع وتخويف أهلها [١] . وهكذا اضطر المطرفية إلى ترك سناع فتفرقوا فى شعاب الأرض وبطون الأودية . وخرج إبراهيم بن الهيثم - وهو من رؤسائهم - يجول فى البلاد للبحث عن مكان يصلح لاقامته وزملائه ، فوجد وادى وقش [٢] خاليا من السكان ، فاجتمع بالقبائل المجاورة وشارهم في النزول بينهم فرحبوا بذلك وعقدوا الجوار [٣] . فانتقل إبراهيم بن الهيثم وإخوانه إلى وادى وقش واقاموا به « هجرة تقام فيها الصلاة ، وتؤدى الفرائض ويعبد الله فلا يعصى ، ويتعلم العلم ، ويحيا فيها الدين حتى قامت بالحجة على أهل العصر مقام الإمام الداعى إلى ربه المشهر سيفه . من تاب من أهل البلاد لجأ إليها وفر بدينه إلى أهلها ، ومن جهل شيئا أتاها للبحث والسؤال عنه » [٤] . ومن

= وخولان قضاعة هم ولد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وأوطانهم بالجزء الشمالى من تهامة اليمن أنظر ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، بيروت ١٩٨٣، ص ٩٧ ح٤ ، الحجرى ؛ مجموع بلدان اليمن ، ١ ص ٣١٣ ، حـ ٤ ص ٦٥٣ .

(١) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٢٥٦ .

(٢) وقش بالتحريك واد وقرية قرب صنعاء من عزلة بنى قيس ناحية بنى مطر . وهجرة وقش موضع فيه كالخانقاه . الحجرى، مجموع بلدان اليمن ، حـ١ ص ١٢٢ ؛ السياغى ، معالم الآثار اليمنية ، ص ٤٣ ؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥ .

(٣) مسلم اللحجى ،أخبار الأئمة ، حـ٤ ص ٧٧ -٧٩ ؛ يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ١ ورقة ٤٩ . كان للمطرفية شروطا معروفة على من يجاورهم وذمم من القبائل التى حولهم من بنى شهاب وبنى مطر وغيرهم على النصرة لهم على من يتغلب عليهم فى دارهم ممن يكرهون جواره . انظر ، مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٢٥٦ .

(٤) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٧٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٥٠ .

خشى على نفسه من ظالم غاشم هرب إليها للأمن والعز ، ومن أهمة أمر معاده ومعاشه أتى متوكلا على الله . وتسامع الناس بهجرة وقش نحو ما كانت السمعة بسناع فانتهى ذكرها إلى أطراف الآفاق فضربت إليها آباط الإبل وطويت إليها المراحل ونفع الله بها من أراد وجهه من خلقه [١] .

إنتشار الهجر والحياة فيها :

قام كثير من رؤساء المطرفية بانشاء هجر جديدة لاتخاذها مأوى لهم ومكانا للانقطاع والعبادة والدراسة ، فقام عليان بن سعد بتأسيس هجرة الروعة بالطرف من حضور الأحبوب [٢] ، كما ابتنى ببلاد حمير هجرة ثانية هى هجرة قاعة [٣] وأسس هجرة ثالثة وهى هجرة جنب [٤]. التى تعرف بمعين [٥] . وهكذا انتشر تأسيس الهجر . وربما يرجع السبب فى ذلك إلى اعتقاد المطرفية فى وجوب هجر الظالمين واعتزال الفاسقين . وكانوا يرون أنه يجب على الإنسان ، أن يهرب بنفسه وولده وحرمه من مجامع الناس ، وقراهم ومدنهم ، لظهور فساد

---

(١) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٧٨ .

(٢) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٩٨ ، ٣١٣ .
والأحبوب عزلة من ناحية الحيمة الداخلية قضاء صنعاء
التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) تقع هجرة قاعة على بعد ٤٥٠٠ مترا جنوب غرب قرية قاعة ما بين
٣٤ ٣٨ ١٥ شمالا
٥٦ ٤٨ ٤٣ شرقا
خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1543B4

(٤) جنب عزلة من ناحية بنى مطر قضاء صنعاء .
التعداد السكانى التعاونى لمحافظة صنعاء ، حـ ص ٧٦ .

(٥) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ١٠٤ .

الناس والمدن والقرى فى دينهم ودنياهم [١] . وهذا يفسر السبب فى تجمع المطرفية داخل هجرهم التى انتشرت فى أقاليم اليمن فيما يشبه حركة تعمير وتجمع سكانى فى مناطق صعدة وصنعاء وآنس وشمال تهامة .

أما عن الحياة داخل الهجر ونظام الدراسة وأعداد الدارسين وغير ذلك من الأمور التى أهملتها المصادر التاريخية تماما ، فقد استطعنا أن نتلمس شيئا عن ذلك فيما كتبه مسلم اللحجى وهو من فقهاء المذهب . ذلك أنه اهتم بالترجمة لأعيانه ، وإن كان لم يبق من مؤلفه سوى الجزء الرابع فقط ، إلا أن فيه ما يكفى للتعرف على معالم الحياة داخل الهجر . من ذلك أن أعداد الدارسين ازدادت بدرجة كبيرة فى بعض الهجر حتى بلغ فى هجرة وقش خمسمائة دارس . وكان عليان بن سعد بعد أن استقر بهجرة الروعة قد قام بزيارة وقش فوجد بها خمسمائة من المتعلمين ، فأخذ منهم مائة ورجع بهم إلى الروعة [٢] . كما بلغ عدد المقمين بوقش من الرجال حوالى سبعمائة رجل [٣] . ويعد هذا العدد كبيرا جدا، وربما يفوق أعداد الرجال فى كثير من المدن اليمنية آنذاك . وقد بلغ المقيمون والمترددون على وقش للصلاة خلف عليان بن سعد بمسجد الشمس عددا لم يجتمع لأحد قبله حتى أن حاتم بن الغشيم اليامى حاكم صنعاء (٤٩٢ - ٥٠٢هـ) هم بغزو وقش خوفا من إحياء الإمامة ، فقيل له إن الزيدية لا يرون الخروج من غير إمام فاطمى [٤] .

---

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة٢٣٧ .
(٢) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ١٠٥ .
(٣) يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٤٥ .
(٤) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

وكانت الحياة داخل الهجر تتصف بالقسوة والتقشف ، وقيام الليل فى التعبد والدراسة وغير ذلك . ويبدو أن هذه الحياة الصعبة لم يكن يتحملها البعض ممن ينشد سعة العيش ولين المتاع خاصة من الأحداث والشباب ، يصف مسلم اللحجى معاناة أحد الشباب الأثرياء بهجرة وقش بقوله : فآلمه برد الطهور وأذى السهر مع الجماعة فى خلوة الذكر والتحفظ من النجاسة والتناوب بالمسائل والاعتراض بالدلائل ، فأصبح ذات يوم هاربا لا يلوى على شيئ حتى لحق بدار أهلة [١] . وكانت الحياة العلمية داخل الهجر نشطة ومزدهرة ، ويمكن التعرف على ثلاثة أوجة لهذا النشاط ، الأول هو عقد حلقات التدريس التقليدية حيث يجلس المدرس وحوله طلابه وغالبا كانت لهذه الدروس أوقاتا محددة سواء كان ذلك بالليل أو النهار [٢] .

وتصدى علماء المطرفية من ذوى المكانة للتدريس فى هذه الحلقات أمثال الشيخ على بن أبى رزين الذى كان يدرس مقالة إقليدس فى هجرة وقش ، ولم يكن يعرفها فى اليمن غيره [٣] . والوجة الثانى أن يجتمع مشايخ المطرفية وعلماؤهم على شكل ندوة علمية فيحددون موضوعا معينا للنقاش ، ويظل الحوار والنقاش قائما إلى أن يصلوا إلى الرأى الذى يرضى عنه الجميع . يقول أحد علماء المطرفية « إن المسألة بيننا تكون كالغرض المنصوب بين الرماة يرمونها ، فلا يزال يرميها كل من حيث هو إن كانت لنا أو علينا ، يثبت ما يثبت ويسقط ما يسقط ، فنعمل بما صح وثبت ونترك ما فسد وسقط » [٤] . أما الوجه الثالث

---

(١) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٧٩ .
(٢) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٥٢ .
(٣) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .
(٤) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ١٠٥ .

فكانت المناظرات التى تعقد بين المطرفية وبين مخالفيهم فى المذهب من المخترعة وغيرهم خاصة فى هجرة سناع ومن بعدها وقش وقاعة [١].

وإذا كانت المناظرات بين المخترعة والمطرفية قد اتخذت الطابع العلمى البحت، بحيث كان كل فريق يحاول إثبات صحة مذهبه ، والتدليل على خطأ المذهب الآخر، فإن مناقشات المطرفية مع الحسينية اتخذت طابعا مخالفا إذ عمد المطرفية إلى السخرية من الحسينية والتندر بمعتقداتهم بعودة الإمام الحسين بن القاسم . وقد سجل مسلم اللحجى الكثير من هذه القصص والنوادر للتشهير بهم والتهكم عليهم وعلى معتقداتهم [٢] .

أما مصارد التمويل التى كان يصرف منها على شئون الهجر واحتياجات المقيمين فلم نجد أية إشارات عن ذلك ،، وربما كان التمويل يأتى من الزكاة المتحصلة عن أموال وممتلكات أهل المذهب هذا بالإضافة إلى مساهمات بعض المطرفية فى الإنفاق على إخوانهم المقيمين فى الهجر . يصف أحد المتعلمين الحياة داخل إحدى الهجر فيقول : كنا بالروعة عند عليان وجماعة من المتعلمين غير قليلة ، كل طائفة لهم من يصنع زادهم على الانفراد . وكانت له بقرة فيجمع

---

(١) من أطرف المحاورات التى دارت بين المطرفية والمخترعة تلك التى دارت بقرية شبام بين أحد غلاة المخترعة وكان به جرب قد أضر به فأتى أحد الأطباء من المطرفية فشكا عليه داءه وسأله دواء لذلك . وكان الطبيب يعرف اعتقاده فى الإختراع ، فقال إن كان الدواء ينفعك وهبت لك شربة لذلك وإن كان لا ينفعك لم أبعك ولم أهب لك . فقال تفضل بعنى بثمن أدفعه إليك . قال لا أبيعك بل أهب لك إن كانت الأدوية تنفعك . فلما رأى أنه لا يبيعه حتى يعترف بأنه ينتفع بالجسم وأنه يحيل ويستحيل فيترك مذهبه . انصرف وترك الطبيب .
مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٥١ .

(٢) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٣٩ - ٤٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ - ٢٦٠ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ ، ٣٣٥ - ٣٣٦ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ ، ٣٥٢ - ٣٥٣ .

لبنها من الجمعة إلى الجمعة ، ثم يأتى فتجتمع عليه تلك الطوائف فيأكلون به ثم يقسم بينهم دهنه فيدهنون به ، ويأتيهم بالكحل فيكتحلون ، ثم يأتيهم بالجلم فيقصرون به أظفارهم وشعورهم ، وينظفون ما يمكنهم التنظيف منه [١] . أما على بن حرب وهو من زعماء المذهب ، فكان يجتمع إليه فى الخريف جماعة من المطرفية فإذا كان يوم الجمعة أمر لهم بكبش وطعام ويدعوهم إليه ، وكان ذلك دأبه حتى تنقضى أيام الخريف . [٢] . وكان أحد المزينين عند اجتماع الزيدية بمدر [٣] فى الخريف يأخذهم فى يوم الجمعة إلى عنبه فيأكلون يومهم ويزينهم ويحلق رؤوسهم، وينفعهم من صناعته بما يحسن ويصلح من شأنهم ما يمكنه [٤].

كذلك كان بعض الناس يتطوعون للعمل بالهجر فيتفقدون الضيف والغريب وذوى الحاجة والنظر فى أمر المتعلمين والنظر فى صلاح مساجدها ومطاهرها ومجالسها [٥] . ويبدو أن البعض لم تكن إقامتهم دائمة بالهجر ، بل كانوا يترددون عليها للإقامة وطلب العلم فترة ثم يعودون لمباشرة شئون حياتهم والتكسب بما يعينهم على معاودة طلب العلم والإقامة بالهجرة [٦] .

---

(١) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، جـ ٤ ص ١٠٧ .

(٢) مسلم اللحجى ،أخبار الأئمة ،جـ ٤ ص٩٣ - ٩٤ . .

(٣) مدر قرية من عزلة الخميس ناحية أرحب على بعد ١١ كم شرقى ناعط وتقع ما بين :

١٣ً ٤٦َ ١٥ْ شمالا .

٥٣ ١٣ ٤٤ شرقا .

خريطة ج . ع . ى ، ١ : ٥٠٠٠٠ ، صفحة 1544A1 ، التوزيع السكانى فى محافظة صنعاء ، حـ ٢ ص ١٨٥ ، السياغى ، معالم الآثار ، ص ٥٨ .

(٤) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٢٥٤ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٤٨ .

(٥) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٢٥٤ .

(٦) مسلم اللحجى ، أخبار الأئمة ، حـ ٤ ص ٨٠ .

تعاليم المطرفية وفقههم :

وهكذا صارت هجر المطرفية فى اليمن تؤدى العديد من الوظائف فهى أماكن للعبادة والتعليم وإقامة المطرفية ومأوى للضيف وعابر السبيل . وشهدت هذه الهجر نشاطا علميا كبيرا تركز بطبيعة الحال على العلوم اللغوية والدينية وخاصة تعاليم وفقة مذهبهم . فكانوا يدرسون أصول مذهبهم بأن للعالم أصولا هى الماء والهواء والرياح والنار ، وهى أصل ما خلق الله . والعالم على كماله محدث مخلوق ، والله تعالى خالقه سواء خلق ما خلق من ذلك جملة أو تدريجا . فالذى حصل على معنى التدريج كالحيوان من الماء المهين ، والأشجار من الماء والطين ، والمطر من السحاب . وكثير منه يزيد بعد النقصان كالإنسان وغير الإنسان من جماد وحيوان وهذا يبين أن من الأشياء فرعا ومنها أصلا . [١] ويستشهدون بآيات القرآن الكريم التى تدل على أن الله تعالى قد خلق الأحياء من الماء [٢] وأنه قد خلق السماوات من الدخان[٣]، والدخان لا يكون إلا من حراقة. وأنه خلق الناس من تراب [٤] . وأن الله تعالى قد خلق هذه الأشياء طبائع مختلفة متضادة غير مؤتلفة فجعلها أصولا لكل ما دراه وبرأه[٥]. وأن الله خلق العالم يحيل

---

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٣ .

(٢) أنظر سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .

(٣) انظر سورة فصلت ، آية ١١ .

(٤) أنظر سورة الحج ، آية ٥ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٤ .

كذلك يستشهد المؤلف بآراء الإمام القاسم الذى يقول (.... ولابد لهذا الخلق من رؤوس أولية مبتدعة من الله تعالى ... ولا ينبغى لهذه الرؤوس أن يكون بعضها من بعض بل تكون متضادة تضاد النار والأرض) .

وكذلك قول الإمام الهادى (لو أنكم انصفتم عقولكم وتركتم المكابرة عنكم ثم رددتم متشابه الأمور إلى محكمها وما شذ من فرعها إلى أصلها ، ثم نظرتم إلى النطفة مم هى ومما كانت حتى =

ويستحيل[١] . ومعنى ذلك يؤثر وينفع إذا استعمله الإنسان على ما علم الله سبحانه ، ومضرا إذا خالف تعاليم الله . كل ذلك جبرا لا اختيارا فما حصل منه من تأثير في الوجهين جميعا فهو فعل الله لا فعل له غيره ولا موجد له سواه [٢] .

ولهذا فإن الأشياء نافعة على معنى وضارة على معنى حسب التناول ومحيلة ومستحيلة ومسخرة تجرى في مصالح بنى أدم فإذا نفعت أو ضرت تكون قد جرت بفطرتها وتركيبها أى بما جعلها الله عليه من الخلقة [٣] . والتركيب معناه

= تنتهوا إلى ما منه ابتدأت ، لوجدتم أصل ذلك إن شاء الله من الطين ، وأصل الطين من الماء بأيقن اليقين . وكذلك فاصل خلق الشياطين من مارج من نار . وإذا رجعتم إلى الأصول الثلاثة المفطورة المبتدعة من الريح الجارية المسخرة ، وما خلق سبحانه من الماء ، وفطر فوقه من يحجب الهواء . ثم خلق من هذه الثلاثة الأشياء جميع ما درأ وبرأ) .
وقال الإمام الهادى في موضوع أخر (فلما أن خلق الله تبارك وتعالى الماء والهواء والرياح أوحى إلى الرياح بأن تصفق وتهيج عوارب الماء وأمواجه . فهيجت أمواجه وزعزعت ساكنه فارتعدت عواربه وتراكم زبده وعظم أمره . ثم أوحى إلى النار فاحرقت ذلك الزبد ، فثار منه دخان فصعد في الهواء ، وبقيت حراقة الزبد على ظهر الماء فخلق تبارك وتعالى الأرض من تلك الحراقة ، حراقة الزبد وخلق السماوات من ذلك الدخان .
انظر سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٤ .

(١) استحال الجسم أي تغير وخرج من حال إلى حال .
سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٩ .

(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٨ .
واستحالة الأجسام على ضروب مختلفة منها ما تكون استحالته بانتقاص بنيته وتركيبه وخروجه من جنسه وطبعه كالنطفة إذا صارت علقة ، والحبة إذا صارت بقلة . ومنها ما يستحيل بأن يزيد وينمو أو يخرج من جميع أحواله إلى أحوال متجانسة . ومنها ما يستحيل من غير زيادة ولا نقصان وكل ذلك إنما هو تدبير الله وبما جعل من تأثير بعض الأجسام في بعض . وكل ما حدث فهو فعل الله ، وصنعه وخلقه ، وإرادته ، ومراده ، سواء كان مصلحا أو مفسدا بسبب أو بغير سبب من برد وجراد وضريب وزيادة في الخلق وغير ذلك .
سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٧٥ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٨ .

إخراج الفرع من الأصل ، والفطر خلق الأصل وإخراج الفرع منه [١] . ويستدلون على صحة ذلك بآيات القرآن التى تتحدث عن الفطرة والتركيب [٢] . وينسب إلى مسلم اللحجى أنه قال : من قال أن الله قصد شيئا من أفعاله غير الأصول الثلاثة والمعجزات والنقم فقد كفر [٣] . ومن ثم فإن خصومهم يتهمونهم بأنهم قد نفوا جميع الحوادث عن الله تعالى وأضافوها إلى الإحالة والاستحالة [٤] .

وقد أدرك المطرفية المحاذير التى تنتج عن الخوض فى بعض مسائل القرآن ، ومع ذلك كانت لهم آراؤهم الخاصة ، فهم يقرون بأن القرآن كلام الله لأن الرسول كان يدين به ويخبر به وهو عليه الصلاة والسلام لا يدين إلا بالحق ولا يخبر إلا بالصدق ، وأن القرآن معجز عجز الخلق عن الإتيان بمثله [٥] . وأنه محدث مخلوق[٦] . وأن الله سبحانه خلقه فى قلب الملك الأعلى استنادا إلى قول الرسول بأنه سأل جبريل كيف يأخذ هذا الوحى . فقال من ملك فوقى . قال : وكيف يأخذه هذا الملك قال : يلقيه الله فى قلبه إلقاء ويلهمه إياه إلهاما كالهام النحلة . فأفاد الخبر أن محله قلب الملك وأنه مخلوق عليه أى أنه عالم به وبغيره مما علمه الله

---

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٦٨ .

(٢) أنظر ، سورة الأنعام ، آية ١٤ ، سوة هود ، آية ٥١ ، سورة إبراهيم آية ١٠ ، سورة الاسراء ، آية ١٦ ، سورة الانفطار ، آية ٨ .

(٣) عبد الله بن زيد العنسى ، عقائد أهل البيت والرد على المطرفية ، مخطوط رقم ١٠٩٢ (برلين) ، ورقة ١٧ .

(٤) أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية، ص ٣١٩ ، عبد الله بن حمزة ، الرسالة الهادية بالأدلة البادية فى بيان أحكام أهل الردة ، ورقة ١٤٥ - ١٦٨ ، ضمن المخطوط رقم or. 3976 بالمتحف البريطانى ، ورقة ١٦٦ ، العقيدة النبوية ، ورقة ٢ - ١١ ، ١٥١ - ١٥٦ ضمن المخطوط رقم or. 3828 بالمتحف البريطانى ورقة ٨ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٧٥ .

(٦) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٨١ - ١٨٣ .

إياه - أشبه بالهمام النحلة ، وإلهامها خلقها عارفة بمصالحها [١].

ولما كان المطرفية يعتقدون بأن الأعراض تسمع سماع العلم ، ولا تسمع سماع الحس لأن الحواس لا تقع إلا على الأجسام [٢] . فإن نزول القرآن يكون بمعنى بلغ ووصل لا بمعنى انحدر وانفصل ، وأن القرآن الذى نسمعه فإننا نسمعه بهذا المعنى أى بمعنى العلم وليس بمعنى النزول والانتقال [٣] . ولهذا تم توجيه الاتهام إلى المطرفية بأنهم يقولون بأن الله تعالى لم ينزل على البشر كتابا من السماء ، وأن كتب الله صفة ضرورية لقلب الملك الأعلى لا تفارقه فيجحدون كتب الله تعالى وآياته [٤] . ويجيب المطرفية على ذلك بأن العرض لا يفارق شبحه ضروريا كان أو غيره لأن مفارقته لا تعقل إلا بمعنى الانتقال والتولد [٥] . ومن الآراء التى ينسبها الزيدية المخترعة إلى مطرف بن شهاب أنه سئل يوما عن القرآن فقال : ما إلينا نزل ولا بنا اتصل ولكنه تلاشى وبطل [٦] . كما يتهم المطرفية أيضا بأنهم ردوا أربعمائة وسبعا وثلاثين آية لا يحتمل أى منها التأويل

---

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٨٣ .

(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٠٢ - ١٠٤ .
جاء فى حديث الإمام الهادى عن الأعراض قوله : إنما هى صفات ودلالات وحركات وعلامات تتفرع من الأجسام غير متلاحقات ، فهى أشياء وليست بأجسام .
سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٨٢ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) جعفر بن أحمد بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٦٣ - ٧٤ ، ضمن المخطوط رقم ٢١٥٣ بدار الكتب المصرية ، ورقة ٧١ ب ، ٧٢ ب ، أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢١ ، عبد الله بن حمزة ، العقيدة النبوية ، ورقة ٥ ، الرسالة الهادية ، ورقة ٥٢ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٨٣ .

(٦) العنسى ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ١٢ .

لو أنهم ردوا آية واحدة لكفروا بإجماع الأمة [١] . وقالت المطرفية نحن نبرأ إلى الله من إنكار آية أو بعض آية أو إنكار شئ مما نزل على محمد أو جاء به من كتاب وسنه . فقال الزيدية إن ذلك لازم لكم أليس الله يقول « يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا » [٢] . وأنتم تقولون ذلك بالانفعال من الطبائع الأربع فقد أنكرتم هذه الآية ، وعلى هذا النحو من الإلزام فى سائر الآيات [٣] .

وفى مسألة النبوة رأى المطرفية أن النبوة هى علو الشئ وارتفاعه على الخلق فى أعلى درج المتقين التى يستحق بها ذلك المقام ونبوُّ النبى هو زيادته وعلوه وهو فعله [٤] . وتسميته نبى مشتقة من النبوة وقيل اشتقت من الإنباء عن الله ، والإنباء فعل النبى [٥] . يروون عن النبى عليه السلام قوله : التودد والاقتصاد والسمت والتثبيت جزء من ستة وأربعين جزاء من النبوة ، وجزء الشئ بعضه وذلك دليل على أنها فعل النبى [٦] . يقول الإمام عبد الله بن حمزة أنهم ناظروه

---

(١) عبد الله بن حمزة ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٣ ، العنسى ، التمييز بين المطرفيـة والاسـلام ، ورقة ٢٦ .

(٢) سورة الشورى ، آية ٤٩ - ٥٠ .

(٣) ابن الوزير ، تاريخ بني الوزير ، ص ١٩٨ ، حميدان بن يحيى بن حميدان ، تعريف التطريف ، ورقة ٨٣ - ٩٢ ضمن مجموع رسائل السيد حميدان . نسخة مصورة بمكتبة الدكتور رضوان السيد ورقة ٨٥ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٩٦ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٩٦ .

(٦) يستشهدون على ذلك بقول الله لنبيه فى سورة فصلت آية ٦ (إنما أنا بشر مثلكم) وقال النبى : لم أكن نبيا فنبيت ، ولا عالما فعلمت ، فلا تقولى فى فوق طولى ، إن الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى نبيا .
سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٩٦ .

مرارا على ذلك [١] . ويوجه الاتهام إلى المطرفية بأنهم جعلوا جميع المكلفين يشتركون في النبوة ، وإنما تأخروا عن إدراكها لتركهم ما وجب عليهم ولتقصيرهم فيما أمروا [٢] . أى أنها تحصل للعبد باختياره فإن شاء جعل نفسه نبيا وإن لم يشأ ذلك لم يكن نبيا [٣] .

ويؤكد المطرفية أن الله تعالى واحد ، ثم يتحدثون فى أسماء الله ويقسموها إلى قسمين : الأولى ما سمى به لأجل ذاته نحو عالم وقادر وحى وقديم . والثانى ما سمى به لأجل فعله كالخالق البارئ المصور المحيى المميت الباعث الرزاق . وبعد مناقشة المطرفية لآراء أصحاب المذاهب الأخرى يقولون بأنه قد تحققت له سبحانه هذه الصفات من علم وقدرة وحياة وقدم وغير ذلك . وهذه الصفات المختلفة مرجعها إلى ذات واحدة ، ويقولون علمه قدرته وهما ذاته وقالوا بذلك لأن نفى هذه الصفات يوهم عليه أضدادها [٤] . وقد اتهم المطرفية بسبب قولهم أن أسماء الله هى ذات الله بأنهم جعلوه أكثر من واحد فأبطلوا بذلك التوحيد [٥].

---

(١) عبد الله بن حمزة ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٢ .

(٢) عبد الله بن حمزة ، الدرة اليتيمة فى تبيين أحكام السبا والغنيمة ، ورقة س١٦٩ - ٢٠٩ ضمن المخطوط رقم Or. 3976 بالمتحف البريطانى، ورقة ١٨١ ، العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ١٧ .

(٣) جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٦٩ أ ، أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢١ ، عبد الله بن حمزة ، الدرة اليتيمة ، ورقة ١٩٥ ، العنسى ، التمييز بين الاسلام والمطرفية ، ورقة ١٠٧ - ١٠٨ ، عقائدة أهل البيت ، ورقة ١٧ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٥٦ - ٥٧ .

(٥) جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٣ أ ، أحمد بن سليمان ، الهاشمة لأنف الضلال من المطرفية الجهال ، ورقة ١٥١ - ١٥٥ ضمن كتاب العقيدة النبوية بالمخطوط or. 3828 بالمتحف البريطانى ، ورقة ١٥٢ ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢١ ، عبد الله بن حمزة ، العقيدة النبوية ، ورقة ٧ ، ١١ ، الدرة اليتيمة ، ورقة ١٩٥ ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٢ ، العنسى ، التمييز بين الاسلام والمطرفية ، ورقة ٧٢ - ٧٤ .

ويعتقد المطرفية أن أفعال العباد كلها حسنها وقبيحها فعلهم لا فعل الله سبحانه . لم يشاركهم فيها مشارك ولم يخلقها فيهم ولا جبرهم عليها ، وإنما أقدرهم على فعلها ، ومكنهم من إحداثها وعرفهم خيرها وشرها [١] . وأن أفعال العباد لو كانت خلقا لله تعالى لما جاز أن يأمر ببعضها وينهى عن بعضها ، لأن أمر الانسان بما لا يقدر عليه ونهيه عما يعجز عن الامتناع عنه قبيح وهو تعالى لا يفعل القبيح [٢]. ويبرهنون على أن أفعال العباد من خلقهم بقوله تعالى « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » [٣] . وهذا يعنى أن العباد خالقون لأفعالهم . ويقولون بأن أفعال العبيد قائمة بهم لا تتعداهم ولا توجد فى غيرهم لاعلى سبيل الانتقال ولا على سبيل التولد [٤] . وأن فعل العبد هو ما يكون صادرا من جوارحة من غير واسطة على حسب اختياره مثل حركات الأيدى والأقدام وتصريف السيف والقلم[٥] . أما ما يحدث من استحالة مفعولاته فهو فعل الله سبحانه لا فاعل له غيره بأصل فطرة الجسم وتركيبه وتثبيته له يحيل ويستحيل [٦] ، ولتبسيط ذلك وتوضيحه قالوا بأن هناك فرقا بين الفعل والانفعال ، فالفعل هو الصادر من جوارح الإنسان والانفعال هو استحالة مفعولاته كالإنتقال والانقطاع ، وكانحباس الماء وانفلاق البحر وغير ذلك ، وهى التى سماها أهل اللغة أفعال المطاوعة [٧] . ومن ثم فإن الإنسان نهى عن قتل غيره ولم ينه عن

---

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٣٦ .
(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٣٧ .
(٣) سورة المؤمنون ، أية ١٤ .
(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٨٩ .
(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩١ .
(٦) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٢ .
(٧) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٣ .

انقتاله [١] . ففعل الضارب هو الضرب وعليه وقع الأمر والنهى والمدح والذم ، والانفعال هو استحالة المضروب بسبب الضارب ولم يقع عليه أمر ولا نهى ولا مدح ولا ذم [٢].

وتقول المطرفية أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب من لا ذنب له ، ولا يريد الظلم، ولا يرضى الكفر ولا يحب الفساد ، لأنه تعالى عدل لا يفعل شيئا من القبائح ، كما أنه تعالى لا يعذب الأطفال بذنوب الآباء [٣] ، ولكنهم عندما يتحدثون فى الأعواض يقولون إنه لن ينال ما عند الله إلا بطاعته ، أو بالتفضل ، ولا يتفاضل أهل التكليف عند الله سبحانه إلا على حسب تفاضلهم فى الأعمال . وأن كل ما استحقه الإنسان من ثواب أو عقاب لا يكون إلا بالعمل [٤] . وهذا ينفى وجوب الأعواض عما يصيب المؤمنين من الأمراض والآفات وسائر

= والمطاوعة هى الموافقة ، والنحويون ربما سموا الفعل اللازم مطاوعا .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : طوع .

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٣ .

(٢) يدللون على أن الفعل غير الانفعال بقوله سبحانه فى سورة التوبة آيه ٤٦ « وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ » ولا شك أن انبعاثهم غير بعثهم لأن بعثهم فعل النبى والله لا يكره فعل نبيه وانبعاثهم فعلهم والله قد كرهه.
سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٤ ، انظر ، أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، حـ ٨ ، ص ١٥
وقال تعالى فى سورة الشعراء آية ٦٣ « فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ » ففرق البحر هو ضرب موسى وانفلاقه فعل الله سبحانه وهو المعجز فمن قال أن الفعل هو الانفعال أنكر معجزات الأنبياء .
سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٩٤ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٥١ – ١٥٢ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٦٦ .

المضار[١] . ولذلك أقروا الحكم برق أولاد المماليك [٢] . ومن ثم فقد وجه خصومهم الاتهام إليهم بنفيهم للعوض على ما أصاب المؤمنين وتجويزهم أن يأخذ الله سبحانه الولد بذنب والده كما يقولون فى ضرب الله الرق على أولاد المشركين فإنه عندهم عقوبة بذنوب آبائهم ولا عوض للأولاد على ذلك . وفى ذلك إضافة الظلم إلى الله تعالى عنه علوا كبير [٣] .

ويحاول المطرفية تبرير موقفهم بالقول إن كثيرا من أحكام الشرع لا تعلل، بل سبيل ذلك التسليم لأمر الله تعالى فيه كملك أولاد المماليك بعد آبائهم وبعد أن أسلموا فى حال الملك . لأن ملك أولاد المماليك فإنما سبب ذلك شرك آبائهم [٤] . وإذا كان الإجماع قد وقع على أن الله لا يظلم ولا يأمر بالظلم فهذا صحيح . وأما القول بأن الله لا يعذب أحدا ولا يضره بذنب سواه فذلك خاص فى أحكام الآخرة وبعض أحكام الدنيا لأن إجماع المسلمين منعقد على أن أولاد المشركين إنما ملكوا لشرك آبائهم ، وأن كثيرا من الأحكام تجرى عليهم بسبب آبائهم [٥].

أما الأمراض والأسقام فيقولون بأنها فعل الله تعالى وخلقه غير أنها على وجهين : منها ما تولى الله سبحانه فعله من غير جناية من أحد ، وذلك ما يكون من ألم المشيخ وضعفه وضعف الطفولية وما يحصل من ألم الحمل والحيض وغير ذلك . فهذه أمراض من الله سبحانه . والوجه الثانى ما يحصل بجناية الإنسان على نفسه أو جناية غيره عليه فذلك أيضا فعل الله سبحانه ، سواء كان مرضا أو

---

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٦٨ .
(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٧٣ .
(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٥٣ - ١٥٤ .
(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٧٤ .
(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٧٤ .

غيره من فنون العاهات وإن كان حصل بسبب وجناية من العبد أو من غيره . وليس حصوله بجناية من المخلوقين يخرجه من أن يكون فعلا لله سبحانه [١] . ومع ذلك يوجه الاتهام إلى المطرفية بأنهم قد نفوا عن الله ما هو فعله نحو مرض الأجساد ، وأضافوا إليه تعالى ما هو فعل للعباد نحو الجراحات التى تحصل فى الخلق عند ضرب السيوف وطعن الرماح [٢] .

ويرى المطرفية أن الله ساوى بين عباده فى ستة : فى الخلق والرزق والموت والحياة والتعبد والمجازاة [٣] . وخالف بينهم فى ثلاثة : فى الصور والألوان واللغات . أما الخلق فساوى بينهم فى ثمانية وجوه : فيما منه خلقهم وفيما عليه ركبهم وفى ترتيب خلقهم وفيما له فطرهم وفى الوضع والدرك والتثنية والأفراد[٤].

أما الأرزاق فقالوا إن الله قد أوردها فى كتابه على ثلاثة أضرب . الأول ذكر فيه المساواة ، وأخبر أنه يرزق جميع عباده الكفار والمسلمين وجميع المخلوقين ، وأن القول بأنه أعطى قوما ومنع آخرين هو قول الكافرين [٥] . والضرب الثانى

---

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٦١ .

(٢) جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٦٤ ب ، ٦٥ أ ، أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٠ ، الهاشمة ورقة ١٥٢ ، عبد الله بن حمزة ، الدرة اليتيمة ، ورقة ١٩٤ ، العقيدة النبوية، ورقة ٤ ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٤، العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٧ ، ٨ .

(٣) يرى خصومهم أن الله لا يجب عليه أن يساوى بين عباده فى الخلق ولا في الزرق ولا فى الحياة ولا فى الموت ولا فى التعبد ولا فى الرزق ولا فى الحياة ولا فى الموت ولا فى التعبد ولا فى الجزاء ولا ذلك من اللوازم للعلى الأعلى ، وذلك لأن الله تعالى متفضل عليهم بابتداء الخلق وانشائه وللمتفضل أن يفعل وأن لا يفعل .

أحمد بن سليمان، الحكمة الدرية ، ص٣٢٠ ، جعفر بن عبد السلام ، مقالة فى الرد على المطرفية، ورقة ٦٩ أ ، العنسى ، التميز بين الإسلام والمطرفية،ورقة ٨٩ ، عقائد أهل البيت ، ورقة ١٥ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١١٨ - ١١٩ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١١٩ - ١٢٠ .

ذكر فيه التفضيل فى الأرزاق [١] . والضرب الثالث وهو أن الله تعالى يقلل الرزق بالمعصية ويكثره بالطاعة [٢] . ويرون أيضا أن بعض الرزق يحصل بالاكتساب وذلك لقوله تعالى « يا أيُّها الّذيـنَ آمَنُوا أنـفقُوا من طَيِّبات ما كسبتُم ومِمّا أخرجنا لكُم مِن الأرض » [٣] . فمن يمكنه الكسب وتركه كان فقره من نفسه لا من ربه [٤] . وقد تقل الأرزاق بأسباب من العباد بسبب ترك العناية بزروعهم وأراضيهم [٥] . كما يقولون بأن الحرام ليس رزقا لمن صار فى يده أو أكله ، وأن المال المغصوب لا يصح أن يكون رزقا لأن من مات دون ماله فهو شهيد [٦] .

وقد نسب إليهم خصومهم القول بأن الأرزاق ليست من الله ولكنها تحصل بالاكتساب والضرب فى الأرض والتحيْل وسائر الأسباب ونفوها عن الله ، وبأن سبحانه لا يرزق العصاة [٧] .

أما مساواته فى الموت فهو جعله غاية كل حى [٨] . والأعمار تختلف باختلاف

= انظر ، سورة البقرة ، آية ٢٦٨ ، سورة المائدة ، آية ٦٤ ، سورة هود ، آية ٦ ، سورة الإسراء، آية ٢٠ ، سورة الروم ، آية ٤٠ ، سورة يس ، آية ٤٧ ، سورة فصلت ، آية ٩ .

(١) انظر سورة البقرة ، آية ٢١٢ ، سورة الرعد ، آية ٢٦ ، سور النحل ، آية ٧١ ، سورة الزخرف ، آية ٣٢ .

(٢) انظر ، سورة الأعراف ، آية ٩٦ ، سورة هود ، آية ٥٢ ، سورة إبراهيم ، آية ٧ ، سورة الطلاق ، آية ٣ ، سورة نوح ، آية ١٠ - ١١ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٦٧ ، انظر أيضا الآيات الدالة على اكتساب الرزق ، سورة الجمعة ، آية ١٠، سورة المزمل ، آية ٢٠ ، سورة البقرة ، آية ١٩٨ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢١ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢١ .

(٦) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٢ - ١٢٣ .

(٧) أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية ، ص ٣٢٢ ، حميدان بن يحيى ، تعريف التطريف ، ورقة ٨٦ - ٨٧

(٨) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٣ .

البنية والأوطان والأزمان ، والناس نبات الأرض [١] . فمن صحت بنيته ، واعتدلت مادته ، وبرئت من معاصيه ساحته ، طالت مدته ، واستوفى عمره ، مالم يظلمه غيره بقتل يقطع به أجله ، وقد يقصر بأسباب منها فساد الأغذية ، وقلة اعتدال امتزاج البنية ، واجتلاب المضار على النفس جهلا أو عمدا وعلى الغير ، وسكنى البلاد الوبيئة ، وتناول الأشياء الضارة ، وشرب السمومات القاتله ، والبغى على الناس بالقتل ، والنقمة من الله أيضا تقطع الأجل [٢] .

فالآجال ثلاثة : أجل ضربه الله لعباده وهو ما تحمله بنيتهم إذا سلموا من العوارض [٣] . وأجل النقمة [٤]، وهو أجل سبب تعجيله المعاصى ، ولو لم تحصل المعصية ما عجل به [٥] . وأجل مخترم ، وهو الذى يقطع بسبب من العبيد ، إما عمدا وإما خطأ وأن المقتول لو لم يقتل لبقى [٦] . أما الأطفال إذا ماتوا قبل البلوغ فإنهم يموتون بجناية الغير عليهم ، وهو تعالى مميتهم وفاعل موتهم . ومن أنكر أن يكون الموت فعلا لله سبحانه كمن أنكر خلق السماء والأرض ، وذلك العبد الجانى عليهم يسمى أيضا مميتا حقيقة بالجناية الواقعة منه [٧] . والعمر ليس له حد معلوم من كثير ولا قليل وإن اختلف بعض الأئمة فى تحديده ، فقال بعضهم مائة وعشرين سنة ، وقال بعضهم مائة وخمسين . ومما ينسب إلي الرسول قوله : أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين . وينسب إليه أيضا قوله :

---

(١) انظر سورة نوح ، آية ١٧ .

(٢) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) أنظر : سورة الأنعام ، آية ١٢٨ ، سورة هود ، آية ٣ ، سورة ابراهيم ، آية ١٠ .

(٤) انظر : سورة يونس ، آية ٤٩ ، سورة نوح ، آية ٤ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٤ .

(٦) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٤ - ١٢٥ .

(٧) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٥ .

لا خير لأمتى فى عمر زاد على عمرى ، وكان عمرة صلى الله عليه وسلم ثلاث وستين سنة . وعلى ذلك إجماع أهل التاريخ فى طول العمر وقصره [١] . ومع ذلك فإن الزيدية تنسب إلى المطرفية القول بأن الأعمار والآجال والموت والحياة تقع بحسب الطبائع والمواد . وأن موت الطفل ليس من رب العباد وأن ما نقص عمره عن مائة وعشرين سنة فإنه ليس من فعل الله تعالى ولا إرادته ، كما نسبوا إليهم القول بأن الإنسان يقدر على تأخير عمره إلى مائة وعشرين بإصلاح معيشته وغذائه ومعرفة دائه من دوائه [٢] . والمطرفية لا تعترف بعذاب القبر لأنهم يعتقدون أن من مات « فإنه لا يحيى إلـى يـوْم القيامـة » [٣] . كما أنهم ينفون بعث البهائم [٤].

ربما كانت هذه أهم ملامح مذهب المطرفية وإن كانت التفاصيل كثيرة ومتنوعه ومتناقضة مع ما يدعوا إليه علماء الزيدية المخترعة فعلى سبيلى المثال تقول المطرفية أن الامطار تحدث من البخار الذى تصعد به الرياح إلى الهواء فيتفاعل مع رطوبات الجو [٥] . وهذا خلاف ما تقول به الزيدية بأن الله هو الذى يتولى إنزال الأمطار [٦] . وقول الزيدية بأن البرد ينزل من السماء « مِن جبالٍ فِيها من

---

(١) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٢٣ .

(٢) العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٩ - ١٠ ،.التمييز بين الاسلام والمطرفية ، ورقة ٤٦ - ٤٧ .

(٣) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٢٢٨ .

(٤) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ١٦٨ - ١٦٩ ، جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٣ أ ، أحمد بن سليمان ، الهاشمة ، ورقة ١٥١ ، العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٢٥ .

(٥) سليمان المحلى ، البرهان الرائق ، ورقة ٧٤ ، جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٠ أ ، عبد الله بن حمزة ، الرسالة الهادية ، ورقة ١٥٥ ، العنسى ، التمييز بين الاسلام والمطرفية ، ورقة ٤٥ .

(٦) جعفر بن عبد السلام ، رسالة فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٠ أ ، عبد الله بن حمزة ، الرسالة=

بردٍ » [١] . وحدث ونزل بقدرة الله . بينما تقول المطرفية أن سبب نزول البرد هو التقاء الهواء المحمل بالماء بالرياح البارده فتحيله بردا [٢] . أما الشفاء من الأمراض فترى الزيدية أنه من الله ، بينما تقول المطرفية أن الشفاء يحدث نتيجة لتناول الدواء [٣] .

وهكذا قام معلمو المذهب المطرفى بنشاط علمى كبير داخل هجرهم وخارجها لنشر مذهبهم فى اليمن ، وما أن حل القرن السادس الهجرى إلا وكان مذهب المطرفية قدمثل تهديدا خطيرا للزيدية المخترعة ، وزاد من تفاقم المشكلة عجز علماء المخترعة عن التصدى لعلماء المطرفية فقاموا بالاستعانة ببعض علماء مذهبهم من خارج اليمن ، فقدم الفقيه العالم زيد بن الحسن بن على الخراسانى [٤] للرد على المطرفية فاجتمعوا إليه ألوفا ، ورجع كثير منهم عن مذهبه بين يديه [٥] . وكانت لهذا العالم شهرة كبيرة فى اليمن إذا تتلمذ عليه كثير من علماء اليمن منهم الإمام أحمد بن سليمان [٦] . والقاضى جعفر بن عبد السلام الذى كان على مذهب التطريف ثم رجع إلى الاختراع [٧] . وعزم القاضى

= الهادية ، ورقة ١٥٥ ، العنسى ، عقائد أهل البيت س ، ورقة ٤ .

(١) سورة النور ، أية ٤٣ .

(٢) العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٥ ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ٤٦ .

(٣) العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٣٣ .

(٤) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام المتوكل أحمد بن سليمان ، نسخة مصورة من مكتبة الدكتور رضوان السيد عن نسخة مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير ، ص ١١٣ ، حميد المحلى ، الحدائق الورديه ، حـ ٢ ص ١١٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٥٩ ، ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢١ .

(٥) العنسى ، عقائد أهل البيت ، ورقة ٣٩ ، التمييز بين الإسلام والمطرفية ، ورقة ١٣٦ .

(٦) حميد المحلى ، الحدائق الوردية ، حـ٢ ص ١١٨ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٥٩ .

(٧) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢٢ .

جعفر على مصاحبة الفقيه زيد فى طريق عودته إلى العراق للأخذ عن علمائها من الزيدية والمعتزلة ، فتوفى الفقيه زيد فى الطريق وتابع القاضى جعفر رحلته فدرس على علماء العراق ، وجمع كتب الزيدية والمعتزلة وعاد بها إلى اليمن ليحتج بها على المطرفية ويناظرهم فى مذاهبهم [١] . فكان يقال عن القاضى جعفر أنه سار إلى العراق « وهو أعلم أهل اليمن ، ورجع وهو أعلم أهل العراق » [٢] . وكانت عودة القاضى جعفر نقطة تحول فى تاريخ اليمن الثقافى بصفة عامة وفى بداية انحسار المد المطرفى بصفة خاصة .

ويبدو أن القاضى جعفر لم يترك مذهب المطرفية كلية ويتحول إلى المخترعة إلا بعد رحلته إلى العراق ، فقد التقى الإمام بالقاضى بعد عودته فى مدينة ذمار سنة ٥٥٣ هـ وحدث عتاب من الإمام واعتذار من القاضى . فقد اعتذر القاضى عن ارتباطه بالمطرفية فيما سلف وبأنه عندما درس فى العراق تبين له أنه لم يكن علي صواب فى معقداته ، فعذره الإمام ثم سأله هل علمت ياقاضى أحدا ممن قابلته فى العراق يقول بشىء مما تقوله المطرفية أو تعتقدة أو تعمل به ، أو وجدت فى كتاب أو سمعت بأحد يقول بقولهم ، فنفى القاضى ذلك . ثم طلب منه الإمام أن يوظف علمه ومعارفه فى رد المطرفية عن معتقداتهم وبدعهم التى استحدثوها. وقد عبر رد القاضى عن مدى انتشار الفكر المطرفى فى اليمن عند إجابته على الإمام بقوله « ولكن القوم كثير وقد صاروا ملء يمننا هذا » [٣] وأنه يخشى من اجتماعهم عليه إذا أنكر عليهم معتقداتهم .

---

(١) انظر ، ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢٢ ، يحيى بن الحسين ، الطبقات ، حـ ١ ورقة ٦٤ .

(٢) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢٢ .

(٣) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ٢٤٠ .

استجاب القاضى لما كلفه الإمام به واتخذ إقامته فى قرية سناع وأظهر الكتب التى عاد بها من العراق ، وعقد مجالس العلم والتدريس . وبدأت شهرة القاضى فى الانتشار وذاع صيته فى المناطق المجاورة ، وتوافدت عليه أعداد كبيرة من الزيدية للبحث والدراسة وحضور مجالس علمه .

تخوف المطرفية من نشاط القاضى جعفر فقد كان يدرس ويبين للناس خطأ معتقدات المطرفية وبعدها عن تعاليم الإسلام . ويبدو أن هذه الجهود أثمرت فى انصراف عدد كبير من المطرفية عن معتقداتهم وبالتالى الانصراف عن تأييد المطرفية والكف عن دعمهم بالأموال التى كانت تتحصل من الزكاة والصدقات ، فتشاور المطرفية فى أمرهم وقرروا عقد الإجتماعات ، ودعوا اخوانهم من باقى الهجر للحضور والمساعدة . وكان الهدف من ذلك هو التغلب على القاضى واظهار عجزه أمام العامة . غير أن اجتماعاتهم لم يتولد عنها سوى الهجوم اللفظى على القاضى ، وقالوا للناس هو باطنى ابن باطنى [١] ؛ إشارة إلى أن والده كان على المذهب الإسماعيلى وكذلك القاضى قبل أن يتحول إلى مذهب المطرفية ومنه إلى مذهب مخترعة الزيدية . وهكذا توترت العلاقة وبدأ القاضى يعلن التحدى ويطلب المناظرة ، وبلغت جرأته وتحديه لهم أن توجه إليهم في مقرهم الرئيسى بهجرة وقش ودعاهم للمناظرة والمدارسة فى كتب الأئمة لإظهار الحقيقة فلم يستجيبوا وتحاشوا المناظرة على الرغم من أن الذى تزعم المطرفية فى مواجهة القاضى هو المؤرخ مسلم اللحجى الذى يصفه ابن الوزير بأنه ممن يعد فى درجة القاضى جعفر [٢] . وقد قارن القاضى بينه وبين المطرفية بقوله : مثلهم ومثلى كمثل عراة

---

(١) سلمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ٢٤١ .
(٢) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢١٦ .

فى مسجد وهم في ظلمة الليل وأصواتهم مرتفعة بالقراءة والصلاة ، وهم يصلون عراة إلى غير قبلة . فدخل عليهم رجل بمصباح فوجدهم على أقبح فعال عراة ، فأجمعوا على الذى دخل بالمصباح يلعنونه ويسبونه فقال ليس لى جرم غير أنى دخلت بمصباح . فقالوا بلى إنك أظهرت ماكنا نكتمه [١] .

وهكذا نجد أن المواجهة بين الفريقين قد اقتصرت على السباب والشتائم ولم تتجاوز المعارضة الكلامية أو الرمي بالحجارة في أعنف صورها . ثم تمادى المطرفية فى مضايقتهم للقاضى واستفزازه فقاموا بتشييد مدرسة لهم فى جانب مسجد سناع الذى يدرس فيه القاضى ، وصارت المدرستان متجاورتان مما أدى إلى الاحتكاك بين الفريقين فقام أحد الشرفاء فأطفأ سراج مدرسة المطرفية ، فعاد المطرفية وأطفأوا مصباح القاضى وقذفوه بالحجارة وهو فى طريقه إلى بيته . وعندما استحالت إقامة القاضى فى سناع تركها وتقدم إلى نواحى عنس فبنى هجرة فى العشاو وشيد مدرسة فى بشار فبدأت الناس تفد إليه من عنس وزبيد [٢] .

لم تقدم المصادرة المعاصرة أية تفاصيل عن المناظرات التى جرت بين القاضى جعفر والمطرفية ولا حتى عن نتائج هذه المناظرات أو طبيعتها على الرغم من أن كل فريق كان يضم العديد من العلماء المبرزين مما يعنى أن المناظرات لو تمت بين الفريقين لكانت من الأحداث العلمية والفكرية الهامة ، وحرص المؤرخون على تدوينها أو الإشارة إليها ، ومن ثم يبدو أن كل فريق كان يستخدم مجالسه العلمية ليبين للعامة صدق معتقداتهم وأفكارهم وخطأ الآخرين. وقد علق القاضى

---

(١) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
(٢) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ٢٤٢ .

جعفر على ذلك بقوله « ومن عجيب أمر المطرفية أنهم يظهرون الامتناع من المناظرة متي دعوا إليها ، ويعتلون بعلل غير مستقيمة » وقد أورد بعض الأسباب لذلك منها أن المناظرة تشغلهم عن البحث والدراسة ، أو يتعللون بأنهم قد ناظروا مرارا ووقع الإجماع على مذهبهم أو أن مخالفهم صاحب باطل وطالب دنيا . وأحيانا يتعللون بأن المناظرة قد تحدث بلبلة بين الناس فامتنعوا لذلك [(١)] .

على أية حال لقد قام القاضى جعفر منذ عودته من العراق بجهود كبيرة فى تدريس كتب المعتزلة التى عاد بها من بغداد داحضا بها معتقدات المطرفية . كما التف حوله الكثير من العلماء الذين أخذوا العلم عنه وصاروا يمثلون مدرسة قائمة بذاتها ويترجم لهم على أنهم من تلاميذ القاضى جعفر ، وهم الذين صاروا علماء الزيدية المخترعة .

المطرفية والإمام أحمد بن سليمان

إذا كانت الخلافات المذهبية من السمات المميزة لليمن فى العصور الوسطى فإن المطرفية قد ظلت بعيدة عن المشاكل السياسية وساعدها على ذلك توقف دولة الأئمة وتعطلها إلى أن قام الإمام أحمد بن سليمان سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨ م . ومع ذلك فإن المطرفية لم يعلنوا مبايعتهم للإمام كما أنهم لم يعلنوا معارضتهم له ، ولكن ربما كانوا أميل إلى الرضا والمهادنة . يتضح ذلك من الزيارة التى قام بها الشيخ محمد بن عليان بن سعد فى أوائل سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م . ويبدو أنها كانت زيارة استطلاعية أراد بها العالم أن يختبر الإمام فى علمه والتعرف على

---

(١) جعفر بن أحمد بن أبى يحيى ، مقاود الإنصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق إمام حنفى عبدالله، القاهرة ، ص ٥٠ - ٥٢ .

مدى أحقيته بالإمامية . فظل طوال فترة الزيارة يدارس الإمام ويناقشه ويمتحنه في مختلف مجالات العلم والمعرفة . وعندما اطمأن إلى أحقية أحمد بن سليمان بالإمامة يقال أنه بايع الإمام وأرسل إلى أهل الهجر باليمن يعرفهم بما توصل إليه [١] . ومع ذلك فقد استمر سائر المطرفية على تحفظهم بالنسبة للإمام فلم يبايعوا . أما الذى أدى إلى تخلى المطرفية عن موقفهم السلبى تجاه الإمام هو قيام السلطان حاتم بن أحمد اليامى صاحب صنعاء باغتيال الشيخ محمد بن عليان ، فاجتمع مشايخ المطرفية وعلماؤهم من جميع هجرهم فى بلاد بنى شهاب وهجر بلاد بكيل وذمار ونواحيها ، فاجتمع منهم خلق كثير حوالى ألف وأربعمائة رجل من علمائهم وفقهائهم وأهل المعرفة والدين ووصلوا إلى الإمام فى محل إقامته بالمقيلد وأقاموا عنده ثمانية أيام يستفتونه ويسألونه ويباحثونه فى المشكلات العلمية ، ويذاكرونه ويدرسون ويتفحصون بعض مؤلفاته مثل كتاب الحقائق وكتاب المدخل إلى الفقه . وظل ذلك دأبهم إلى أن صح عندهم وتيقنوا أهليته للإمامية [٢] . وهذا يوضح أن المطرفية على الرغم من أزمتهم مع سلطان صنعاء وسعيهم للحصول على مساعدة الإمام إلا أنهم لم يتخلوا عن شروطهم فيمن يتولى الإمامة . وبعد أن انتهوا من مبايعة الإمام طلبوا منه أن يتوجه معهم إلى اليمن . وقد لاقت هذه الدعوة هوى فى نفس الإمام وقبولا لأنها فرصة للتوسع والسيطرة على مدينة صنعاء ، وفى نفس الوقت تحقيق رغبة المطرفية للأخذ بثأر الشيخ محمد بن عليان .

ظل التعاون قائما بين الإمام والمطرفية حتى تمكن من دخول صنعاء فى أواخر

---

(١) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

سنة ٥٤٥ هـ . وقام بتعيين القاضى جعفر بن عبد السلام الذى كان من علماء المطرفية في هذا الوقت قاضيا على صنعاء [١] .

ويبدو أن المطرفية قد اكتفوا بما حل بالسلطان حاتم بن أحمد ومن ثم وجدوا أنهم لم يعودوا بحاجة إلي المساعدة فبدأوا فى الانصراف عن الإمام بل إنهم عملوا على تفريق الناس عنه . وظلت العلاقة بينهم تتأرجح بين الدعم والتأييد أحيانا ، وتركه والتخلى عنه أحيانا أخرى إلا أن العلاقة لم تتوتر إلى درجة استخدام القوة ضد بعضهم . وقد اكتفى مؤلف سيرة الإمام فى هذه الفترة عن إظهار كرامات الإمام ومايحل بمخالفيه من المطرفية من انتقام الله تعالى . فعلى سبيل المثال يذكر أن الإمام اجتمع بالناس في مسجد بيت بوس وظهرت على يديه بعض المعجزات أو الكرامات فقد أعاد السمع إلى رجل كان يعانى الصمم . ثم أتى إليه رجل أعمى فى أمر من أمور الدنيا فلما اقترب من الإمام مسح له على عينيه ودعا الله تعالى فرد الله فى عينيه النظر فأبصر بالإمام ومن حوله ثم قال للإمام أنى لم آتك لهذا فعادت الظلمة فى بصبرة وذلك لقلة يقينه وإيمانه لأنه كان من المطرفية [٢] . أو يذكر أن أحد المطرفية عندما أظهر معارضته للإمام ابتلاه الله بداء الاستسقاء فى نفس اليوم فكان لا يشبع ولا يروى ، وكبر بطنه ، وأقام على ذلك أربعة أشهر إلى أن توفى [٣] .

تفاقم الموقف بين الإمام والمطرفية بسبب مناهضتهم للقاضى جعفر وتماديهم فى أذيته والإساء ة إليه . ومن ثم قرر الإمام أن يجمع القوات لتأديبهم وحربهم

---

(١) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ١٣٧ .
(٢) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .
(٣) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ٢٤٣ .

حتى يعودوا عما هم فيه من البدع والضلال ونكث البيعة . ولكن تم تسوية الموقف عندما وصل زعيم المطرفية إبراهيم بن الحجلم وبعض أصحابه فجددوا البيعة للإمام وطلبوا منه الصفح والعفو والقبول لتوبتهم [١] .

ويرجع سبب تنكر المطرفية للإمام أحمد بن سليمان إلى تشددهم فى أمر الإمامة والشروط الواجب توافرها فى الإمام يقول ابن الوزير « وقد كانت المطرفية لسعة علومهم وصلابة تدينهم وصبرهم على العبادة والقيام والصيام ، يحتقرون معارف غيرهم ويقع من بعضهم إعجاب بالتبحر فى العلوم ، وللعلم طغيان كطغيان المال [٢] . غير أن حدة العداء للمطرفية خفت بعد وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦ هـ ، والقاضى جعفر بن عبد السلام سنة ٥٧٣ هـ ، مما أعطى الفرصة من جديد لازدهار مذهب المطرفية وانتشاره خاصة فى عهد الأيوبين الأوائل فى اليمن .

الكشف عن عنوان الرسالة

ونسبتها إلى الإمام أحمد بن سليمان

أثناء قيامى بجمع وتحقيق الرسائل التى كتبها علماء الزيدية وأئمتها فى الرد على المطرفية وفى تفنيد معتقداتهم توقفت عند رسالة للقاضى جعفر بن عبدالسلام تعرف باسم « رسالة فى الرد على المطرفية » وذلك بسبب تآكل كثير من حروفها وكلماتها فضلا عن الكلمات المطموسة . ولأنها بصفة عامة يصعب قراءتها قراءة كاملة ومن ثم فإنه يصعب تحقيقها كنص متكامل . وبالتالى فقد

---

(١) سليمان بن يحيى ، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢١٥ ، أنظر يحيى بن الحسين ، الطبقات ، جـ ١ ورقة ٥٦ .

انحصرت قيمتها فى إمكانية قراء ة بعض فقراتها فقط وهذا ما حدث معى فى السابق عندما كنت أقوم بإعداد بحث عن المطرفية بعنوان « المطرفية فى اليمن بين العلم والسياسة » فإننى لم أستفد منها إلا فى بعض الفقرات التى تمكنت من قراء تها . ويبدو أن ذلك كان حال كل من أشاروا لهذه الرسالة فى أبحاثهم ، فلم يقرأها أى منهم قراء ة كاملة ومن ثم فلم يتعرف أحد من الباحثين على مضمونها كاملا . ولما كنت قد جمعت معظم الرسائل المتعلقة بالمطرفية الموجودة فى القاهرة وصنعاء ولندن وبرلين فقد اعتقدت أننى إذا لم أنشر رسالة القاضى جعفر فى الرد على المطرفية فإن العمل الذى أقوم بإعداده بعنوان « الصراع الفكرى فى اليمن بين الزيدية والمطرفية » لن يكون عملا متكاملا . وعلى ذلك كان القرار بتحقيق رسالة القاضى فى الرد على المطرفية مهما استغرق ذلك من وقت وجهد . وبدأت معاناتى مع هذه الرسالة مع الرغبة فى كثير من الأوقات بالتخلى عنها ولكنى أقنعت نفسى بأن مالا يدرك كله لايترك كله ، فإذا تمكنت من قراء تها وتحقيقها مع بعض العيوب فإن ذلك سيكون من وجهة نظرى إنجازا طيبا . ومع معايشتى الطويلة للنص والخبرة التى اكتسبتها فى تحقيق بعض مصادر التاريخ اليمنى فضلا عن قراء تى وتحقيقى لمعظم ما كتب عن المطرفية فقد تمكنت من قراء ة النص ونسخه .

وعند القيام بتحقيق النص بدأت أصطدم ببعض الكلمات وذلك أن أول جملة فى الرسالة على النحو التالى : أما بعد حمد الله على إبلاغ الحجة وإيضاح المحجة والصلاة على جدنا محمد خير البشر وعلى عترته الأطهار أكرم العتر [١] . استوقفتنى هذه الجملة لأن من يكتب بهذه الصيغة والكيفية لابد أن يكون من آل

---

(١) جعفر بن أحمد ، رسائل فى الرد على المطرفية ، ورقة ٦٤ .

بيت الرسول عليه الصلاة والسلام . فهل القاضى جعفر من آل البيت ؟ طبعا لا لأنه لم يرد ذكر ذلك فى المصادر المعاصرة أو اللاحقة [١] . ومن ثم فربما حدث خطأ من الناسخ حيث كتب « جدنا محمد خير البشر » بدلا من « نبينا محمد خير البشر » . خصوصا وأن الكلمة ليست واضحة تماما . وعلى هذا فمازالت الرسالة للقاضى جعفر . ولكن عندما بدأ الحديث فى الرسالة عن تأثر المطرفية باليهود وجمع ذلك فى سبع خصال فإنه عندما وصل إلى الخصلة الخامسة قال « إنهم يحبون ارتداد الناس عن الإسلام الذى هو مذهبنا ومذهب آبائنا عليهم السلام » [٢] . وعندما وصل إلى ذكر الخصال التى شاركوا فيها عبدة الأوثان وحددها بخمس خصال ، قال والثانية منها « الإعراض عن سماع الحق الذى هو مذهبنا ومذهب آبائنا عليهم السلام ونهى الناس عن استماعه » [٣] . إن تكرار كلمة مذهبنا ومذهب آبائنا عليهم السلام مع ما سبق الإشارة إليه بقوله « والصلاة على جدنا محمد خير البشر » اتضحت الأمور بأنه لا يوجد خطأ فى النسخ ولابد لمؤلف هذه الرسالة أن يكون من آل البيت وبالتالى فإنه ليس القاضى جعفر بن عبد السلام .

فمن يكون مؤلف هذه الرسالة من آل البيت ؟ هل يكون هو العالم زيد بن الحسن البيهقى الذى جاء إلى اليمن لدعم الزيدية المخترعة فى نضالهم الفكرى

---

(١) ذكرت المصادر ترجمته بأنه القاضى العارف . جعفر بن أحمد بن أبى يحيى بن عبد السلام عالم الهدوية المخترعة وإمامها وقد كان أبوه عالم الباطنية وحاكمها وخطيبها والذى إليه يقصدون وعلى رأيه يعتمدون .

يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ورقة ٦٤ ؛ ابن الوزير ، تاريخ بنى الوزير ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ؛ ابن مظفر ، الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان ، ورقة ٧٥ .

(٢) جعفر بن أحمد ، رسائل فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٢ .

(٣) جعفر بن أحمد ، رسائل فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٢ .

ضد المطرفية ؟ ربما يكون هو أو أحد غيره من علماء المخترعة . ولكن عندما بدأ مؤلف الرسالة يتحدث عن الخصال التى أخذها المطرفية عن الخوارج بقوله «فمنها اعتراضهم على إمام العدل وطعنهم فى سيرته وطلبهم أن يصير إلى رأيهم . فإن امتنع من ذلك نكثوا بعيته وخرجوا عن طاعته . وقد ظهر لنا ذلك منهم فيما بيننا وبينهم كما فعلته الخوارج مع أمير المؤمنين عليه السلام فشاركوهم فى إثم ذلك وعاره » [1] . والمتأمل لهذا النص يستنتج أن المؤلف هو أحد الأئمة ممن كانت له بيعة فى أعناق المطرفية ولكنهم نكثوا بيعته وخرجوا عن طاعته كما فعلت الخوارج مع الإمام على عليه السلام . وهكذا فإننا نستبعد أن يكون مؤلف الرسالة أحد من علماء الزيدية ولكنه أحد الأئمة أو المحتسبين خاصة وأن مصادر تلك الفترة تذكر بعض المؤلفات فى الرد على المطرفية منسوبة لبعض الأئمة والمحتسبين . ولكن هذه المؤلفات لم يتبق منها سوى أسماؤها فقط حيث يُذكر أن للإمام أبى الفتح الديملى مؤلف بعنوان « الرسالة المبهجة في الرد على الفرقة الضالة المتلجلجة » . وأن حمزة بن أبى هاشم وكذلك الحسن بن حمزة لهما مؤلفات على المطرفية . هذا فضلا عمن جاء بعدهم من الأئمة والمحتسبين . ومن ثم فإن يصعب إثبات نسبة هذه الرسالة لأى واحد من هؤلاء . ولكن بالعودة إلى مقدمة الرسالة حيث يقول المؤلف « ورأيت ذلك ربما يلتبس على من حسن ظنه بهم وقلت معرفته بمذهبهم فأردت أن أبين فى هذه الرسالة صحة ما نسبته إليهم وصدق ما أوقعته من التسمية عليهم بأنها هاشمة لأنف الباطل والمخالف وفارقة بين الهدى والضلال » . ومن ثم فإنه قصد من تأليف هذه الرسالة أن تكون هاشمة لأنف الباطل . وهذا يذكرنا برسالة الإمام أحمد بن سليمان

---

(١) جعفر بن أحمد ، رسائل فى الرد على المطرفية ، ورقة ٧٣ ، ٧٤ .

«الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال » ولكن هذه الرسالة ذكرها الإمام عبد الله بن حمزة فى رسالته « العقيدة النبوية » [١] . فهل يمكن أن يكون ماذكره الإمام عبد الله بن حمزة موجزا لهذه الرسالة ! .

وبمقارنة ماذكره الإمام عبد الله بن حمزة بالرسالة التى بين أيدينا اتضح أنه قام بوضع ملخص موجز لأفكار الإمام أحمد بن سليمان بقوله : قال السيد الإمام الأجل المتوكل على الله عز وجل أمير المؤمنين أحمد بن سليمان بن الهادى إلى الحق عليه السلام فى كتاب الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال بعد ذكر مخالفتهم لجميع العقلاء وبعد ذكر خطئهم الزايد على خطأ الملحدة والدهرية وعلى خطأ المجبرة القدرية وبين ذلك فى عشر مسائل . وبعد حكاية مذاهبهم التى ينقض بعضها بعضا وذكر منها خمس عشرة خصلة . وبعد ذكر موافقتهم للملحدة والطبعية في عشر خصال . وبعد ذكر موافقتهم للمجوس والثنوية فى أربع خصال . وبعد ذكر موافقتهم لليهود فى سبع خصال . وبعد ذكر موافقتهم للنصارى فى خصلتين . وبعد ذكر موافقتهم لعبدة الأوثان من الكفار فى خمس خصال ، وبين عليه السلام جميع ذلك بيانا يشفى غليل الصدور ويوضح ملتبسات الأمور [٢] . فقال عليه السلام : ومن ذلك مقالات شاركوا فيها أهل الضلال من هذه الأمة وهى سبع عشرة خصلة فمنها .... ثم يستمر الإمام عبد الله بن حمزة في النقل مباشرة قدر ثلاث صفحات ونصف إلى أن يصل آخر فقرة منها « ولما كانت هذه الخصال أخبث خصال الأشرار من تلك الفرق التى ذكرناها صح ما قلناه فيهم من أنهم أخذوا من كل مذهب أخبثه ،

---

(١) عبد الله بن حمزة ، العقيدة النبوية ، ورقة ١٥١ .

(٢) عبد الله بن حمزة ، العقيدة النبوية ، ورقة ١٥٩ .

فلهذا قلنا إنهم قد خرجوا من جملة المسلمين وفارقوا أهل ملة الإسلام فلا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم ولا رطوباتهم ولا تقبل شهادتهم ولا يجوز دفع الزكاة إليهم وغيرها من حقوق الله سبحانه إلي أحد منهم ولايجوز دفنهم فى مقابر المسلمين ولا الصلاة على أحد من موتاهم . ويحكم فيهم بأحكام الكفار ، ويحكم فى هجرهم وأماكنهم التى غلبوا عليها وحكموا فيها على ساكنيها باتباعهم فى مذاهبهم بأحكام دار الحرب « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ »[١] . وهذا آخر كتاب الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال[٢] .

وهكذا يتضح بأن هذه الرسالة ليست كما هى مصنفة فى دور الكتب وليست كما هو متعارف عليه بين الباحثين بأنها رسالة في الرد على المطرفية للقاضى جعفر بن عبدالسلام ولكنها رسالة أو كتاب : الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال للإمام المتوكل أحمد بن سليمان .

---

(١) سورة الشعراء ، آية ٢٢٧ .

(٢) عبد الله بن حمزة ، العقيدة النبوية ، ورقة ١٥٥ .

الصفحة الأولى من كتاب الهاشمة لأنف الضلال

ومنهم كما فعله الخوارج مع امير المومنين عليه السلم فنابذوه ... ثم
ذكر وغيره. والثانية هم قوم لا يسبهم ... حتى ...
من قول من لا ... والقوم ... ويفعلوا ذلك ... الحال
والحال كما فعله الخوارج مع اصحاب امير المومنين عليه السلم
والثالثة بغضهم لاهل البيت عليهم السلم واصحابهم ... لا
بعترته من ... بعضا لاهل بيت النبوة من هذه الفرقة
الطريقة ... يعرفون بينهم وهو من طرائق الخوارج ولا اشكال
معهم ... ولكنهم قوم لا يعقلون ... هذه ...
... من الجهال جمع الطريقة ... اكرمنا ... من ...
لا لاحد من ... ما ... ذلك ولما كانت هذه ... الجنة
... من هذه الفرق التي ذكرنا ... ما ... منهم
من ... من ... ولا ...
... ملة الاسلام ...
... ولا ... ولا ... ذلك ...
... الله ... في ... المسلمين ...
... على ... في مذاهبهم ...
[illegible]
[illegible]
وصلى الله ... والحمد لله ...
[illegible]

الصفحة الأخيرة من كتاب الهاشمة لأنف الضلال

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وبه نستعين

أما بعد حمد الله على إبلاغ الحجة وإيضاح المحجة والصلاة على جدنا محمد خير البشر وعلي عترته الأطهار أكرم العتر . فإني ذكرت في بعض مصنفاتي على هؤلاء المطرفية بأنها مخالفة لجميع البرية ، وهي كلها لم أنطق فيها عن هوى متبع ولا رأى مبتدع ، بل قلت ذلك بالحق اليقين وسلكت فيه سبل الناصحين الصادقين . ورأيت ذلك ربما يلتبس على من حسن ظنه بهم وقلت معرفته بمذهبهم، فأردت أن أبين في هذه الرسالة صحة مانسبته إليهم وصدق ما أوقعته من التسمية عليهم بأنها هاشمة لأنف الباطل والمخالف وفارقة بين الهدى والضلال ، [وبالله] [١] التوفيق .

واعلم أن الناس افترقوا في هذه الأفعال التي تكرهها النفوس وتنفر عنها الطبايع مثل مرض الأجساد وألمها بضرب الجراح ومايقع فيها من أفعال الناس ومن غير أفعالهم ، ونحو موت الأولاد وقتلها ، وفساد الزرايع بآفات سماوية أو أرضية وماجرى مجرى ذلك إلى ثلاثة أقوال . فذهب الملحدة الدهرية والفلاسفة الطبعية إلى نفي ذلك عن الله ولم يضيفوا إلى الله سبحانه شيئا منها بل زعموا أن ذلك حاصل بطبايع وأمور يؤثر بعضها في بعض وجعلوا ذلك طريقا إلى نفي الصانع الحكيم وجمعوا بين أفعال الله سبحانه وبين أفعال الخلق فنفوها جميعا عنه وذلك معروف من مذهبهم . فأصابوا في بعض قولهم هذا وأخطأوا في البعض لأنهم قد أصابوا بنفي مايحصل في أبدان العباد من الجراح والآلام عند ضربهم بالسيوف وطعنهم بالرماح وما أشبه ذلك ، لأنهم صادقون في نفي ذلك

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل .

عنه تعالى وليس من فعله بل هو من فعل العباد . ولكنهم قد أخطأوا فى نفى أفعاله عنه نحو المرض والموت وذهاب الزرايع بالبرد وغير ذلك لأنهم نفوا عنه ما هو فعله تعالى فلهذا قلنا إنهم أصابوا فى بعض قولهم وأخطأوا فى بعضه .

وذهبت المجبرة القدرية إلى إضافة جميع ذلك إلى الله سبحانه . وقالوا إن جميع مايحصل فى أبدان الخلق من ألم الحمى والرعدة أو بضرب وطعن وغير ذلك فجميعه فعل الله سبحانه لا فاعل له غيره ولا موجد له سواه . فجمعوا بين أفعال الله سبحانه وأفعال الخلق قاطبة ، فأضافوها إلى الله سبحانه وذلك معروف من مذهبهم . فأصابوا فى بعض قولهم هذا وأخطأوا فى بعضه لأنهم أصابوا في إضافة أفعال الله سبحانه إليه ، وأخطأوا بإضافة أفعال خلقه إليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا . فصارت مقالتهم ممزوجة من خطأ وصواب .

وذهبت الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وسائر العلماء من أهل العدل إلى طريقة وسطى بين الفريقين ، وأضافوا إلى الله سبحانه فعله من ذلك وهو مالا يدخل تحت اختيار العباد على وجه من الوجوه ، ونفوا ذلك عن العباد . ونفوا عنه سبحانه أفعال العباد ، ولذلك سموا أهل العدل وذلك معروف من مذهبهم ، فأخذوا الصواب من كل فرقة وتركوا الخطأ من قولها .

وجاءت المطرفية الجهال بمذهب لم يقل به أحد من الفرق الثلاث فنفوا عن الله ماهو فعله بلا مرية [١] نحو موت الأولاد ومرض الأجساد وما أشبه ذلك . وأضافوا إليه تعالى ما هو فعل للعباد بلا شك نحو الجراحات التى تحصل فى

---

(١) المرية : الشك والجدل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة مرا .

الخلق عند ضرب السيوف وطعن الرماح وما أشبه ذلك على مايأتى تفضيل هذه الجملة من بد إن شاء الله تعالى . وأخطأوا فى كل مانسبوا إليه من ذلك فزاد خطؤهم فى ذلك على خطأ الملحدة والدهرية وعلى خطأ المجبرة القدرية لأنهم أخذوا الخطأ من كل فرقة وتركوا الصواب من قولها . وهذا بين ويتضح تفسير مسائل [انتهت] [1] وأذكرها فى هذه الرسالة .

الأولى منها أن الطفل إذا خرج من بطن أمه ناقص الخلقة بأن تذهب عيناه أو يداه أو رجلاه أو غير ذلك من أعضائه فإن المطرفية تنفى ذلك عن الله سبحانه وتزعم أنها تنزهه عنه ، فإن فسدت أعضاء ذلك الطفل وذوت بعد خروجه من بطن أمه بأن قلع بعض البغاة عينيه أو قطع يده غدرا ، ولأن فعل العبد عندهم لايعدوه وليس من الباغى إلا حركة يده وجميع ما أصاب الطفل من تلك الجراح والآلام فإنها عندهم فعل الله سبحانه وذلك فى المسألتين جميعا معروف من مذهبهم ولانعرف خلاف بينهم فى ذلك وهو العكس العظيم . ومعلوم أنهم لو قلبوا القضية فأضافوا إلى الله سبحانه مانفوه عنه من المغص الحاصل فى بطن الأم ، ونفوا عنه ما أضافوه إليه من النقص الحاصل من القطع والقلع لكانوا قد أصابوا الحق فى الجهتين ووافقوا أهل العدل وتمسكوا بمذهب أهل البيت عليهم السلام أو لو وافقوا المجبرة فى إضافة جميع ذلك إلى سبحانه أو وافقوا الملحدة فى [نفى] [2] جميع ذلك عنه سبحانه لكانوا قد أصابوا فى نصف المقالة وإن أخطأت فى النصف الآخر . ولكنهم استحبوا العمى كل حين على الهدى فى كل حال .

---

(١) كذا فى الأصل

(٢) مابين الحاصرتين إضافة .

والثانية أن المسلم إذا أصابه الجدرى أو الجرب فأثر فى جسمه حروقا أو ظهر فيه آثارا فإن هؤلاء المطرفية الجهلة ينفون ذلك عن الله سبحانه ويزعمون أنهم ينزهونه عن فعله ، فإذا اجتمع جماعة من الرماة البغاة فرموه بالسهام الوافرة حتى خرقوا جميع يديه قالت المطرفية حينئذ جميع هذه الخروق والآلام الحاصلة فى يديه بالرمى من فعل الله سبحانه قولا ظاهرا بينهم لايتحاشون منه بل يتظاهرون عليه وعلتهم فى ذلك ماقدمنا ذكره من قولهم ، فعل العبد لايعدوه . ولاشك فى أنهم لو قلبوا لأصابوا ولو جمعوا بين الأمرين فى النفى والإثبات لكانوا قد أصابوا فى البعض ولكنهم قوم يجهلون .

والثالثة أن المسلم إذا أصابه جراح فى يديه [كالنتت] [1] أو الدملى وسائر القدوح فإن المطرفية تنفى ذلك عن الله سبحانه بزعم أنها تنزهه عن فعله ، وربما يقولون أنه جور وظلم . فإذا أصابه ما هو أعظم من ذلك من الجراح الحاصلة بضرب السيوف وطعن الرماح وغير ذلك قالت المطرفية حينئذ جميع تلك الجراحات فعل الله سبحانه وحده لاعتمادهم على أن فعل العبد لايعدوه ولايوجد من الظالم عندهم فعل فى المظلوم أصلا . فعندهم أن الله سبحانه لايجوز منه أن يكون أصاب أمير المؤمنين عليه السلام بوجع فى رأسه ولايجوز أن يبتليه بجرح يقع فى رأسه ابتداء من دملى أو نتت أو غير ذلك . ولكنه لما ضربه ابن ملجم اللعين [قالوا] [2] الآن حصحص الحق . ونسبوا جميع ما وقع فى رأسه من جرح وألم إلى الله سبحانه وقضوا بأنه فعله وليس بفعل لابن ملجم وقالوا

---

(١) كذا في الأصل .
والنتت : الانتفاخ
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نتت .

(٢) فى الأصل يقال .

أن [من] [١] نسب ذلك إلى ابن ملجم يقضى بأنه فعله فقد افترى إثما عظيما . ومعلوم أنهم لو قلبوا القصة لأصابوا الصواب ووافقوا أهل البيت عليهم السلام وكافة أهل العدل ، أو لو وافقوا الملحدة فى نفى ذلك كله عن الله أو [وافقوا] [٢] المجبرة فى إضافة كل ذلك إلى الله لكانوا قد أصابوا فى نصف المسألة كما تقدم ، ولكنهم قوم يجهلون .

والرابعة أن المسلم إذا أصابه وجع فى رأسه وصداع [٣] أشد فتألم به فإن المطرفية تنفى ذلك عن الله سبحانه أبلغ النفى وتسخر ممن يضيفه إليه تعالى ، وتزعم أنها تنزهه عن ذلك . فإذا اجتمع جماعة من البغاة فصكوا رأس ذلك المسلم بالنعال الطرية والربض [٤] الغليظة قالت المطرفية حينئذ أن جميع الوجع الحاصل فى رأسه عند صك النعال فعل الله وحده لما ذكروا من أن فعل العبد لايعدوه ، ولا إشكال فى أنهم لو قلبوا لأصابوا أو لو خلطوا بين الأمرين إما فى النفى أو الإثبات لكانوا قد أصابوا .

والخامسة أن المسلم إذا أصابه وجع فى بطنه وعصرة تمنعه لذيذ الطعام وطيب المنام فإن المطرفية تنفى ذلك عن الله سبحانه وتزعم أنها تنزهه عن فعله . فإذا وثب عليه ظالم جلف جاف فصرع المسلم وألقاه على قفاه وصار يركض [٥] برجليه فى بطنه أشد الركض فإنهم يقولون أن جميع ما يحصل فى بطن ذلك

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة .

(٣) فى الأصل صراع .

(٤) الربض : السلاسل .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ربض .

(٥) الركض : الضرب .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ركض .

المسلم عند ذلك الركض فعل الله سبحانه لا فاعل له غيره وينكرون على كل من قال أن ذلك الوجع فعل العبد أبلغ الإنكار لتعويلهم على جهالة سبقت إلى قلوبهم وهى اعتقادهم أن فعل العبد لايعدوه . ولاشك أنهم لو قلبوا القصة لأصابوا على ماتقدم .

والسادسة أن المسلم إذا نزل به وجع شامل لجميع بدنه فأسهر ليله ونغص عيشه فإن المطرفية تنفى ذلك عن الله وتزعم أنها تنزهه تعالى عنه ويهزؤون بمن أضاف ذلك إلى الله تعالى من أهل العدل وقال إنه امتحان منه سبحانه لعبده المسلم وينكرون ذلك أبلغ الإنكار . وإذا اجتمع جماعة من البغاة ويضربون ذلك المسلم بالسياط المريعة ظلما وعدوانا ويعمون بالضرب جميع بدنه قالوا حينئذ أن جميع ذلك الوجع الذى حصل فى بدنه عند ذلك الضرب فعل الله سبحانه لافاعل له غيره لتعويلهم على أن فعل العبد لايعدوه ، فليس للضاربين من فعل عندهم سوى حركات أيديهم . أما وقوع السياط فى بدن المضروب والوجع الحاصل عند الضرب وغير ذلك فهو فعل الله عندهم تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

والسابعة أن من مات حتف أنفه من مرض شائع أو جدرى عارض أو حمى وسدم قبل أن يبلغ مائة وعشرين سنة من جميع الأنبياء والمؤمنين والأطفال والمراهقين فإن المطرفية تقول أن الله سبحانه لم يمته ولايجوز أن يميت أحدا عندهم من هؤلاء قبل أن يبلغ مائة وعشرين سنة وينكرون على من قال إن الله تعالى أمات هؤلاء أشد الإنكار . فأما إذا اجتمع جماعة من البغاة الظلمة كابن مهدى وجنده ومن جرى مجراهم على ذبح الأطفال والمسلمين وسائر المظلومين وقتلهم بالسيوف والسكاكين قالت المطرفية إن جميع مايحصل فى أيدهم من

الجراحات [وحل] [١] بهم من التلف والهلاك عند ذلك فعل الله سبحانه لا فاعل له غيره وينكرون على كل من أضاف ذلك إلى هؤلاء الظلمة ويزعمون أنه مخالف فى الدين . أصلهم فى ذلك هو قولهم فعل العبد لايعدوه ، وليس من الظالم سوى حركة يده وجميع ماحصل فى أولئك المظلومين هو فعل الله عندهم تعالى الله عما يقولون . وكذلك فإن السباع العادية أو الكلاب الضارية إذا افترست أحدا من هؤلاء المذكورين فأهلكته فإن المطرفية تقول إن جميع ماحصل فى ذلك المجروح من الافتراس والجراح والآلام والهلاك فعل الله وحده لافعل السباع والكلاب لأن عندهم أن أفعال البهائم كلها فعل الله تعالى عما يقولون . ومن أعجب أمرهم أنهم ربما يشكون فى أن الله تعالى فعل السباع والكلاب بأنفسها لاعتقادهم أنها حصلت بإحالات الأجسام بعضها لبعض فلا يشكون أن افتراسها للناس وعدوانها عليهم فعل الله وحده لاشريك له فيها . فكأنهم قد أولعوا بقلب الأمور عن وجوهها وإن جعلوا أعاليها أسافلها وهذه زيادة منهم على كل خطأ نعلم فى الناس وهم مع ذلك يحسبون أنهم على شىء إلا أنهم هم الكاذبون .

والثامنة أن المسلم إذا أصابه رمد عند اعتراض الرياح لعينه ووجع سهر معه وتعب منه أو عمى عنده فإن المطرفية تنفى ذلك عن الله سبحانه وتزعم أنها تنزهه عن فعله وتنكر على أهل الإسلام إذا أضافوا ذلك إلى الله سبحانه . وقالوا بأنه محنة امتحن الله بها من شاء من عباده . فإذا لطم بعض الجفاة البغاة عين ذلك المسلم فصار فيها من الوجع أشد من الرمد فأعمى [٢] ذلك الطم عينه أو أبذرها على خده قالت المطرفية عند ذلك أن هذا الوجع الذى حصل عند الطمة والعمى

---

(١) كلمة مطموسة فى الأصل .

(٢) فى الأصل بلاعمى .

الذى يعقبها وما حصل فى العين المقلوعة هو فعل الله سبحانه لا فاعل له غيره . وأنكروا على من أضافه إلى ذلك الباغى لتعويلهم على أن فعل العبد لا يعدوه ونسوا تنزيههم لله سبحانه . الأول على زعمهم فما أجهلهم بالتنزيه وأوقعهم فى التمويه .

والتاسعة أن المسلم إذا خرج إلى الصحراء فأصابه البرد فوقعت واحدة فى رأسه فحصل فيه شجة دامية وانتقض طهوره فإن المطرفية تنفى ذلك عن الله سبحانه وتزعم أنها تنزهه عن إسالة دماء المسلمين ونقض طهورهم . وينكرون على من أضاف ذلك إلى الله سبحانه فإذا رجم بعض البغاة هامة ذلك المسلم بجلمود فهشم عظمه وابذر مخه ظلما له وعدوانا عليه قالوا عند ذلك هذا الذى حصل فيه بالجلمود فعل الله سبحانه لا فاعل له غيره وأنكروا على كل من أضاف ذلك إلى الباغى الظالم لتعويلهم على أن فعل العبد لا يعدوه وذلك هو الجهل العظيم .

والعاشرة أن البرد إذا نزل على زرْع المسلم أو عنبه فأتلفه أو نقص بعضه فإن المطرفية تنفى ذلك عن الله سبحانه وتزعم أن الله عدل لايجور على عبده المسلم ولايدخل عليه نقيصة فى ماله . ولو فعل ذلك به لكان ظالما له . فلهذا نزهوا الله بزعمهم من إنزال البرد على طعام المسلمين . فإذا اجتمع جماعة من البغاة والسرف [١] وجاءوا بالمخابيط [٢] الشديدة فخبطوا زرع ذلك المسلم أو عنبه حتى

---

(١) فى الأصل السرت .
والسَّرَفُ : الضراوة ، والسَّرِفُ : الجاهل .
والسَّرَفُ : الجهل والسرف الخطأ
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : سرف .

(٢) المخبط بالكسر : العصا التى يخبط بها الشجر.

جلطوا حب زرعه بينه وتركوه هشيما لا منفعة فيه وخلطوا ثمره بحبه بترابه عمدا جهارا . قالت المطرفية عند ذلك أن جميع مايحصل فى هذا الزرع والعنب عند الخبط هو فعل الله سبحانه لا فاعل له غيره لتعويلهم على ما ذكرناه عنهم من قولهم فعل العبد لايعدوه ، فنسبوا إلي الله سبحانه الظلم الصريح والجور القبيح فى هذه الأشياء وأضافوا إليه فعل الظلمة ونفوا عنه فعل نفسه وجمعوا بين أمرين لم يجمع بينهما أحد من البرية ، وأخذوا من كل مذهب خبيث أخبثه لأن مذهب الملحدة الطبعية ومذهب المجبرة القدرية من أخبث المذاهب وأنجسها . وقدمنا أن كل فرقة منها أخطأت فى بعض قولها وأصابت البعض الآخر على ماتقدم منا . والمطرفية المبتدعة أخذت الخطأ من كل فرقة ، فأخذت من كل مذهب أخبثه وجمعت الخطأ إلى الخطأ فغلبها من الوزر مثل ما على هاتين الفرقتين فى هذا الباب . فلهذا قلنا أنها مخالفة لجميع البرية فصاروا هم وسائر الفرق الثلاث المتقدمة في ضرب المثال بمثابة أربعة رجال تنازعوا في صدق محمد صلى الله عليه وعلى آله وصدق مسيلمة الكذاب . فقال الأول محمد ومسيلمة صادقان معا. وقال الثاني هما كاذبان معا وقال الثالث بل محمد صادق ومسيلمة كاذب . وقال رابع بل محمد كاذب ومسيلمة صادق . فلا إشكال عند أصل البصاير أن الأول قد أصاب فى نصف خبره وهو تصديقه لمحمد صلى الله عليه وأخطأ فى نصفه الآخر وهو تصديقه لمسيلمة الكذاب . وكذلك الثانى فقد أصاب أيضا فى نصف خبره وهو تكذيبه لمسيلمة الكذاب وأخطأ فى نصفه الآخر وهو تكذيبه النبى الصادق عليه السلام . وأما الثالث فإنه أصاب فى جميع خبره لأنه صدق النبى الصادق وكذب مسيلمة الكاذب فأخذ الصواب من قول كل فرقة وترك الخطأ من

= ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : خبط .

قولها . أما الرابع فإنه أخطأ فى جميع خبره لأنه صدق مسيلمة الكاذب وكذب النبى الصادق فأخذ الخطأ من قول كل فرقة وترك الصواب من قولها . فالأول الذى أضاف الصدق إليهما جميعا هو مثال المجبرة لأنهم أضافوا جميع الأفعال إلى الله سبحانه . والثانى الذى نفى الصدق عنهما جميعا هو مثال الملحدة لأنهم نفوا الأفعال كلها عن الله سبحانه . والثالث الذى أثبت الصدق لمحمد عليه السلام وأثبت الكذب لمسيلمة فهو مثال أهل البيت عليهم السلام وعلماء أهل العدل لأنهم أضافوا إلى الله سبحانه فعله الذى مختص عنه وأضافوا إلى الخلق فعلهم الذى لاشبهة فيه فأصابوا فى الأمرين جميعا وأخذوا من كل مذهب أطيبه . والرابع الذى أثبت الصدق لمسيلمة الكاذب والكذب للنبى الصادق هو مثال المطرفية المبتدعة لأنهم قلبوا الأمور جميعا فنفوا عن الله تعالى فعله الذى صدر عنه وأضافوا إليه فعل خلقه الذى يبرأ منه فأخطأوا فى الأمرين جميعا وصاروا بمنزلة من صدق الكاذب وكذب الصادق . وعكسوا الحكمة وقلبوا القضية . ونفوا ما وجب اثباته وأثبتوا ما وجب نفيه . وكذلك من زا غ قلبه حسنت عنده السيئة وساء ت عنده الحسنة وتنكر بمكر الضلالة فبان ما ذكرناه أنا لم نسمهم بهذه التسمية مجازفة فى القول ولا متابعة للهوى ولا ميلا عن طريقة الحق والنصفة . ولاشك فى أنهم زادوا فى التجاهل على كل ماتبلغه الأفهام ولايظن عاقل أن أحدا من الناس يبلغ إليه واهتدوا من الضلالة إلى مالم يهتده إليه بشر . وإن كانت الرسالة الكبيرة قد احتوت على خمس عشر خصلة سوى هذه الخصال ذهب إليها المطرفية ولم يذهب إليها غيرهم من الزيدية ، ونحن الآن نعيد ذكرها هاهنا على سبيل الاختصار ليكون عبرة لأولى الأبصار .

الأولى منها قولهم أنه يجب على الله تعالى أن يساوى بين عباده فى ستة

أشياء وهى الخلق والرزق والموت والحياة والتعبد والمجازاة فيقضون عليه تعالى بوجوب ماهو بفعل منه لا متفضل بالخلق والرزق وما يتبعهما وهذا غاية الجهل منهم .

والثانية قولهم أن الله سبحانه قد ساوى بين خلقه فى هذه الأشياء وإن كانت العيان تشهد بخلاف ذلك .

والثالثة قولهم أن الله سبحانه لم يتعمد كثيرا من خلقه بل حصل منه من غير قصد ولا اعتماد . ويجعلون الله تعالى فى حكم المخطىء تعالى عن ذلك .

والرابعة قولهم أن كثيراً من أفعال الله سبحانه ليس بحكمة ولا صواب نحو مرض الأجساد وموت الأولاد وفساد الثمار وما أشبه فيخرجون بذلك الله سبحانه عن أن يكون حكيما فى جميع أفعاله .

والخامسة قولهم أن عقل الإنسان هو قلبه الذى هو بضعة لحم فى جوفه وليس هو العلم الضرورى الذى خلقه الله تعالى فى القلب فيلزمهم أن يكون النائم عاقلا وكذلك المجنون لوجود القلب فيهما .

والسادسة قولهم أن الله تعالى لم يرزق أحدا من العصاة وأنهم مغتصبون لجميع مافى أيديهم من الأموال التى تحصل لهم بالزراعة والتجارة وغير ذلك من التصرفات وأن جميع ذلك ليس برزق لهم فيجحدون نعمة الله ويسقطون عن العصاة فريضة الشكر والعبادة .

والسابعة قولهم أن حسنات العاصى معاصى يؤاخذ بها نحو صلاته وصومه وزكاته وحجه وغير ذلك فهو جبور للمساواة بين الحسنة والسيئة والله تعالى يقول

« ولا تَسْتوي الْحَسَنةُ ولا السَّيِّئةُ » (١) .

والثامنة قولهم أن الله سبحانه قد مكن كل أحد من الناس من بلوغ درجة النبوة وأنها تحصل للعبد باختياره فإن شاء جعل نفسه نبيا وإن لم يشأ ذلك لم يكن نبيا فيجحدون اختصاص اله سبحانه لرسله الكرام بما فضلهم به من النعم الجسام .

التاسعة قولهم أن الله سبحانه مكن كل أحد من الناس من بلوغ درجة الإمامة فإن شاء العبد جعل نفسه إماما ينكرون تفضيل الله سبحانه لأهل بيت النبوه وغيرهم على كافة البرية .

والعاشرة قولهم أن العبد مختار فإن شاء علم الفرق بين الليل والنهار وإن شاء لم يعلم ذلك وكذلك الفرق بين أبيه وأمه وكذلك الفرق بين نفسه وغيره . فإن شاء علم ذلك وإن شاء لم يعلمه لأن علوم العبد كلها أفعال له اختيارية منهم عندهم وتمكن من العلوم الضرورية التى يخلقها الله تعالى لعباده فيجحدون أعظم نعم الله تعالى لهذه العلوم ويزيدون على السوفسطائية فى هذا الباب .

والحادية عشر قولهم أن القرآن لايسمع بالأذان وكذلك سائر الأصوات والكلام كصوت الرعد والصاعقة فينكرون المحسوسات فيخالفون القرآن فى آيات كثيرة تشهد بذلك .

والثانية عشر قولهم أن الألوان لا ترى بالأبصار فينكرون رؤية بياض النهار وسواد الليل وكذلك ينكرون إدراك حلاوة العسل ومرارة الحنظل وحرارة النار

---

(١) سورة فصلت ، آية ٣٤ .

وبرودة الصرد [١] . ويزعمون إنه لايجوز إدراك شيء من الأعراض فيجحدون المشاهدات وتنكرون نعم الله سبحانه ويخرجون من دائرة أهل العقول فبئس مايفعلون .

والثالثة عشر قولهم أن إحالة [الإحالة] [٢] الأجسام فعل الله سبحانه ولكنه لم يفعلها الله فى حال حدوثها ولا قبل حدوثها ولا بعد حدوثها فيصرون إلى مالا يعقل ويناقضون من حيث لا يعلمون .

والرابعة عشر قولهم أن هذه الإحالة إرادة الله سبحانه ومراده والله لم يردها لا فى حال حدوثها ولا قبل حدوثها ولا بعده فيقولون فى ذلك ما ينكره كل عاقل .

والخامسة عشر قولهم أن كل فعل للعبد فهو صفة له واسم ، فمن فعل الحركة اسم له وصفة وكذلك من فعل السكون اسمه السكون وهو صفة له . وكذلك إذا تكلم فكلامه اسم له وصفة فيذهبون فى ذلك إلى مالا يظن العقلاء أن أحدا يبلغ به المجاهل إليه .

فهذه خمس عشرة خصلة مضافة إلى العشر الخصال الأولى فصارت خمسا وعشرين خصلة كما تفردت به المطرفية ولم يقل بها أحد سواهم لا من أسلم ولا من كفر . فلهذا قلنا أنهم مخالفون لجميع البرية ، ومعلوم أنهم لو لم يقولوا إلا بواحدة منها لصح وصفهم بالخلاف لجميع الخلق فكيف وقد جمعوا بينها وقالوا بما لم يقل به عاقل فيها، وليتهم اقتصروا عليها فقد كان فيها مايكفيهم هلاكا

---

(١) الصرد : البرد وقيل شدته .
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة صرد .

(٢) كذا فى الأصل ويبدو أن هذه الكلمة اضيفت سهوا إلى النص .

ولكنهم أضافوا إليها خمسا وأربعين خصلة من خصال الكفر والضلال فيها ثمان وعشرون خصلة لم يصير إليها مسلم ولاتمسك بها مؤمن بالله تعالى واليوم الآخر ، منها عشر خصال من مقالات الطبعية الملحدة .

الأولى منها قولهم أن الأولاد تحصل بطبيعة النطف والأرحام فيكون بعض الأولاد ذكورا لغلبة نطفة أبيه أو لسبقها على نطفه أمه أو لغلبة الحرارة على الوالدين لوقوع النطفة فى قلب الذكور . وكذلك كون بعضهم أنثى بعكس هذه العلل لا لأجل اختيار خالق مختار يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور يجحدون خلق الله تعالى ويردون كتابه فى مواضع كثيرة .

والثانية قولهم أن الزيادة والنقص إذا حصلا فى الأولاد فذلك من اختلاف الموارد واعتراض العوارض ولم يحدث ذلك باختيار الله سبحانه فيجحدون خلق الله ويردون كتابه الوارد بذكر النقص فى الأموال والأنفس والثمرات وبأنه يزيد فى الخلق مايشاء .

والثالثة قولهم أن اختلاف الخلق فى السواد والبياض والقصر والطول والحسن والشواهة لأجل اختلاف المواد والطباع والأهوية والبلدان وليس ذلك باختيار الله الذى يفعل مايريد ويصور خلقه فى الأرحام كيف يشاء .

والرابعة قولهم إنما اختلف الناس فى الصحة والسقم فصح بعضهم وسقم البعض لأجل اختلاف الطبايع والمواد التى تحيل الأجسام لا لأجل اختيار الله سبحانه الذى يبتلى عباده بالشر والخير فيه .

والخامسة قولهم إنما اختلف الناس فى الأعمار فطال عمر بعضهم وقصر عمر البعض الآخر لأجل اختلاف الطبايع والمواد وأن من مات قبل أن يبلغ مائة

وعشرين سنة فلم يمته الله سبحانه ؛ بل مات بالعوارض وينكرون خلق الله سبحانه للموت والحياة ويردون قوله تعالى : « وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ » (١) .

والسادسة قولهم أن الأمطار إنما تحصل من بخارات الأرض ورطوباتها التى تصعدها الرياح إلى الهواء ثم تعصرها فينزل المطر فيها لا لأجل أن الله يخص به من يشاء من خلقه وينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد (٢) .

والسابعة قولهم أن البرد إنما يحصل قبل رياح باردة تعترض الماء وتجمده فى الهواء لا لأجل أن الله سبحانه ينزله على من يشاء ويصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فيجحدون خلق الله سبحانه ويذرون (٣) كنانه فى ذلك كله .

والثامنة قولهم أن الثمار إنما تختلف ، يتحصل بعضها عنبا وبعضها تينا إلى غير ذلك لأجل طبايع الأشجار التى تخرجها مختلفة فلذلك اختلفت الثمار لا لأجل اختيار صانع حكيم يخرج من كل شجرة فى كل وقت ماشاء من الثمار فيجحدون ويردون كتابه الوارد بذلك .

التاسعة قولهم أن الثمار إنما اختلفت فى الزيادة والنقص والكثرة والقلة لأجل اختلاف البقاع والأزمنه والأمكنة لا من قبل اختيار صانع حكيم يفضل بعضها على بعض فى الأكل .

---

(١) سورة الحج ، أية ٥ .

(٢) أنظر سورة الشورى ، أية ٢٨ .

(٣) ذرى الشىء أى سقط .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ذرا .

العاشرة قولهم أن الآفات التى يحصل بها هلاك الزرايع إنما تقع بعوارض عارضه وأجسام تحيلها لا من قبل إختيار صانع حكيم يبتلى بهذه النقائض من يشاء من خلقه ويأتيها أمره ليلا أو نهارا فيجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس [١] .

فهذه عشر خصال وافقوا فيها الملحدة الطبعية وأخذوا قولهم وإن كان مخالفا لكافة المسلمين . ومنها أن بعضا من مقالات المجوس والثنوية شاركتهم فيها المطرفية .

الأولى قولهم أن هذه الآلام والآفات النازلة بالأطفال والمؤمنين قبيحة لا تحسن على وجه من الوجوه ولا صلاح فيها لمن أصابته فى الحال ولا فى المال .

والثانية قولهم أن من صدرت عنه هذه الآفات فإنها صدرت عنه من غير قصد منه إليها ولا اختيار لفعلها ، يصفون فاعلها بالحبط [٢] الذى تصفه الثنوية بأنه الظلمة التى جعلوا الشر منها حبطا وطباعا .

والثالثة قولهم أن الله تعالى قد يريد وقوع شىء من أفعاله على وجه الصلاح فيعترض عارض فيمنع من نفوذ مراده نحو أن يريد خلق الولد إما ذكرا أو أنثى فيعترض عارض فيحصل خنثى . ولاشك أن ذلك قول بجواز الغلبة على الله سبحانه والقهر له والعجز عن نفوذ مراده . وطريقة المجوس تجويز العجز على الله سبحانه ، فقد شاركوا المجوس فى ذلك وأخرجوا الله تعالى عن كونه قادرا

---

(١) اقتباس من سورة يونس ، آيه ٢٤ .

(٢) الحبط : الفساد .

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حبط .

على فعل [ما يريد] [١] .

والرابعة قولهم أن الله سبحانه يفعل كثيرا من أفعاله من غير قصد ولا اعتماد، ولاشك أن ذلك قول بجواز الخطأ على الله تعالى والمخطىء لايكون إلا جاهلا بما يفعله ، فأخرجوا الله تعالى عن كونه عالما وهى طريقة المجوس أيضا لأنهم يجوزون الشك على الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا . فهذه أربع خصال طابقوا فيها المجوس والثنوية .

ومنها سبع خصال وافقوا عليها اليهود وتمسكوا بها من طرايقهم .

فالأولى قولهم أن الله تعالى لم ينزل شىء على بشر كتابا من السماء بل يزعمون أن كتب الله صفة ضرورية لقلب الملك الأعلى لايفارقه . فجحدوا كتب الله تعالى وآياته وذلك قول فرقة من اليهود . وقد حكى الله تعالى كلامهم بقوله : « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ » [٢] .

والثانية قولهم أن دينهم الذى تبعوا فيه أهواء هم واقتفوا فيه آباء هم هو من عند الله وهو دين الله الذى رضيه لعباده كما حكى الله سبحانه ذلك عن اليهود بقوله « وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » [٣] .

والثالثة اتخاذهم لمشايخهم أربابا من دون الله يضعونهم في كل مذهب خالف القرآن ونافى السنة والإجماع كما حكى الله تعالى ذلك عن اليهود بقوله « اتَّخَذُوا

---

(١) كلمة مطموسة فى الأصل .

(١) سورة الأنعام ، آية ٩١ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٧٨ .

أحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ » (١) .

والرابعة أنهم يأمرون بعضهم بالتدخل فيمن خالفهم يوهمونهم أنهم منهم ثم ينكصون بعد ذلك على أعقابهم راجعين كما كانوا عليه ليوهموا الناس أنهم مارجعوا عن باطل كما كانت اليهود تقول بعضهم لبعض ماحكاه الله عنهم بقوله « آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » (٢) .

والخامسة أنهم يحبون ارتداد الناس عن الإسلام الذى هو مذهبنا ومذهب آبائنا عليهم السلام إلى مذهب مطرف الذى ما أنزل الله به من سلطان كما حكى الله ذلك سبحانه عن اليهود بقوله : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَق » (٣) .

والسادسة أنهم يرون قتل من يأمر بالمعروف الذى تركوه أو ينهاهم عن المنكر الذى ابتدعوه فى مذهبهم ويحرصون فى ذلك أشد الحرص كما حكى الله بقوله « وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (٤) .

والسابعة أنهم يحتالون لتناول أموال الناس بالتلبيس ويصدون عباد الله عن الدين الذى هو مذهبنا ومذهب آبائنا عليهم السلام كما حكى الله تعالى هذه السيرة عن اليهود بقوله « إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ » (٥) .

---

(١) سورة التوبة ، أية ٣١ .
(٢) سورة آل عمران ، أية ٧٢ .
(٣) سورة البقرة ، أية ١٠٩ .
(٤) سورة آل عمران ، أية ٢١ .
(٥) سورة التوبة ، أية ٣٤ .

ومن ذلك خصلتان طابقوا فيهما النصارى إحداهما قولهم أن الله سبحانه صفات وأسماء قديمة وهى ذات الله تعالى فيجعلون الله تعالى أشياء مجموعة ويقولون مع ذلك هى ذات واحدة . وقالت النصارى إن الله تعالى واحد ؛ ثلاثة أقانيم . وقد ذمهم الله تعالى على ذلك بقوله « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » (١) .

والثانية قولهم أن القرآن لم ينزل من السماء على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بل هو صفة لقلب الملك الأعلى لا يفارقه . ولاشك أن مذهب النصارى هو إنكار نزول القرآن من الله سبحانه على نبيه محمد صلى الله عليه وعلى أهله فقد شاركوا القدرية في هذا الباب ، بل النصارى أسعد حالا منهم لأنهم إن جحدوا القرآن فقد اعترفوا بنزول التوراة والإنجيل وما قبلهما من كتب الله المنزلة على أنبيائه عليهم السلام . وهؤلاء المطرفية المنكرون لكل الكتب قاطبة فقد زادوا على النصارى واليهود وسائر أصحاب الكفر والجحود .

ومن ذلك خمس خصال شاركوا فيها عبده الأوثان من الكفار .

الأولى منها اختيارهم لتقليد الآباء واتباع الأهواء على أدلة الله سبحانه [وآياته] (٢) كما حكى الله تعالى ذلك عن الكفار بقوله « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا » (٣) . وهذه سيرة المطرفية المبتدعة .

والثانية الإعراض عن سماع الحق الذى هو مذهبنا ومذهب آبائنا عليهم

---

(١) سورة المائدة ، آية ٧٣ .

(٢) فى الأصل وياته .

(٣) سورة لقمان ، آية ٢١ .

السلام ونهى الناس عن استماعه كما حكى الله تعالى ذلك عن الكفار بقوله « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ » [١].

والثالثة استعصامهم لما هم عليه من الكفر وتصريحهم بخلاف ماهم عليه وهى طريقة الكفار التى حكى الله سبحانه عنهم بقوله « وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا » [٢].

والرابعة أنهم كما قال من أراد هدايتهم إلى الحق والسطوة به وذلك معرفة [٣] حالهم وهى سيرة الكفار التى حكاها الله سبحانه عنهم بقوله « وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » [٤].

والخامسة أنهم يرون إخراج من خالفهم فى دينهم الخبيث عن منزله وقلعه من وطنه وذلك مشهور كونهم « يخرجون الرسول وإياكم أن تأمنوا بالله ربكم » [٥]. وأمثالها من آيات القرآن الكريم .

ومن ذلك مقالات شاركوا فيها أهل الضلال من هذه الأمة وهى سبع عشرة مقالة ، فمنها أربع خصال من الباطنية ومن جرى مجراهم ، شاركوهم فيها مع مشاركتهم فى العشر الخصال التى شاركوا فيها الطبعية لأن مذهب الكل فى ذلك واحد .

---

(١) سورة فصلت ، آية ٢٦ .
(٢) سورة الأنعام ، آية ١١١ .
(٣) معظم كلمات هذا السطر ممحوة في الأصل .
(٤) سورة الحج ، آية ٧٢ .
(٥) سورة الممتحنة ، آية ١ .

والأولى من هذه الأربع إنكارهم بعث البهائم يوم القيامة وإنكارهم لذلك ظاهر بينهم وفيه رد لما ورد به القرآن الكريم من قوله تعالى « وإذا الوحوش حشرت »[١] وغير ذلك .

والثانية تأويلهم لآيات القرآن الكريم التى تخالفهم مذهبهم على غير التأويل الصحيح الذى يشهد به الظاهر كما تفعله الباطنية . وفى ذلك إبطال للأدلة ووقوع التلبيس العظيم .

والثالثة قولهم أن الإمام يجب أن يكون أعلم الناس وأورعهم وأشجعهم إلي غير ذلك من الصفات التى يسدوا بها باب الإمامة على الناس كما تقوله الباطنية.

والرابعة قولهم بجواز شىء من الكذب نحو مايحلك به نفع أو تدفع به ضرر كما تقوله الخطابية وهم فرقة تقرب من الباطنية . بل ربما تقول المطرفية بوجوب شىء من الكذب ويزيدون على الخطابية فى هذا الباب ويخالفون القرآن ويجانبون الإيمان .

ومن ذلك خصلتان تمسكوا بهما من مذاهب المشبهة .

الأولى إثار التقليد على النظر فى الدليل وهذا ظاهر بينهم وبه تلزم الحجة فلا يدفعها إلا بقوله قد كان مشايخنا المتقدمون على هذا المذهب فلا نخرج عنه وهى طريقة المشبهة .

والثانية قولهم أن أسماء الله هى ذات الله وذلك ظاهر بينهم وهو مذهب الكرامية وهم من المشبهة فجعلوا الله سبحانه أسماء معدودة وأبطلوا التوحيد

---

(١) سورة التكوير ، آية ٥ .

بذلك تعالى الله عن ذلك .

ومن ذلك ثمان خصال تمسكوا بها من مقالات القدرية .

الأولى منها قولهم أن جميع ما وجد فى المظلوم من الجراح والآلام عند ضرب السيوف وطعن الرماح ونحو ذلك فعل الله سبحانه لقولهم إن فعل البعد لايعدوه فأضافوا إلى الله سبحانه الظلم القبيح ووافقوا المجبرة فى ذلك تعالى الله عما يقولون .

والثانية قولهم أن الله سبحانه قد يفعل كثيرا من الكذب الصريح وهو [ما] [١] يوجد فى الكهوف والجبال إذا قال كاذب بقرب بعضها الله ثالث ثلاثة فسمع من جانب الجبل مثل هذا الكلام فهو عندهم فعل الله سبحانه [كما تقول ذلك المجبرة فينسبون إلى الله سبحانه فعل القبايح تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا] [٢] . [والثالثة قولهم أن جميع أفعال البهايم فعل الله سبحانه] [٣] نحو نهاق الحمير ونباح الكلاب وما أشبه ذلك . فنسبوا إلى الله سبحانه العبث القبيح ووافقوا المجبرة على ذلك .

الرابعة قولهم أن الله سبحانه قد قضى على العاصى بفعل الواجبات على معنى أنه أمر بها وهى عندهم معاص باطلة ويكون الله تعالى قد قضى بالباطل كما تقوله المجبرة ، تعالى الله الذى لايقضى إلا بالحق والعدل والإحسان .

والخامسة قولهم مريد لما حدث فى المظلوم من الجراح وضرب السيف وطعن

---

(١) إضافة من العقيدة النبوية ، ورقة ١٥٢ .

(٢) إضافة من العقيدة النبوية ، ورقة ١٥٢ .

(٣) إضافة من العقيدة النبوية ، ورقة ١٥٢ .

الرمح من حيث أنه فعله عندهم ، وكل فعل له فهو مراد له فيكون مريدا للظلم على أصلهم الخبيث تعالى الله الذى لايريد ظلما للعباد .

والسادسة نفيهم للعوض على ما أصاب المؤمنين والأطفال من المضار في النفوس والأموال ، كما تنفيه المجبرة وفى ذلك إضافة الظلم إلى الله سبحانه وتعالى عما يقولون .

والسابعة تجويزهم أن يأخذ الله سبحانه الولد بذنب والده . كما يقولون فى ضرب الله سبحانه الرق على أولاد المشركين فإنه عندهم عقوبة بذنوب آبائهم . ولا عوض للأولاد على ذلك كما تقول المجبرة وفى ذلك إضافة الظلم إلى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

والثامنة قولهم أن الله سبحانه لم يقصد كافرا بنعمة أبدا بل أكثرهم يقول لم يقصد مسلما بذلك أيضا وإنما حصل ذلك بالفطرة والتركيب وإحالة الأجسام بعضها لبعض وإذا لم يقصد ذلك لم يكن منعما على أحد وهذا أكثر مما ألزمته المجبرة على مذهبهم الفاسد [فالتزمته الأشعرية] (١) منهم وفى ذلك سقوط التعبد عن الكفار لأنهم إذا لم يكن عليهم نعمة لم يجب عليهم شكر ولا عبادة .

ومن ذلك ثلاث خصال من طرايق الخوارج شاركوهم فيها فمنها اعتراضهم على إمام العدل وطعنهم فى سيرته وطلبهم أن يصير إلى رأيهم فإن امتنع من ذلك نكثوا بيعته وخرجوا عن طاعته . وقد ظهر لنا ذلك منهم فيما بيننا وبينهم كما فعلته الخوارج مع أمير المؤمنين عليه السلام فشاركوهم فى إثم ذلك وعاره .

---

(١) فى الأصل فالتزمته الأشعرى . والتعديل من العقيدة النبوية ، ورقة ١٥٣ .

والثانية تجويزهم لأنفسهم تجييش الجيوش لمحاربة من تولى من الأئمة والتزم بحبل طاعتهم . وقد فعلوا ذلك بأهل حجبان والجاهلى [١] كما فعلته الخوارج مع أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . ·

والثالثة بغضهم لأهل البيت عليهم السلام واستخفافهم بحقهم ، فإنى لا أعلم فرقة من الفرق أشد بغضا لأهل بيت النبوة من هذه الفرقة المطرفية وذلك معروف بينهم وهو من طرايق الخوارج . ولاشك أن بغضهم طريق إلى النار ولكنهم قوم لا يعقلون . فكملت هذه الخصال سبعين خصلة من أخبث الخصال جمعت المطرفية بينهما فلذلك صاروا مخالفين للبرية لأن أحدا من البرية ماجمع ذلك .

ولما كانت هذه الخصال أخبث خصال الأشرار من هذه الفرق التى ذكرناها صح ما قلناه فيهم من أنهم أخذوا من كل مذهب أخبثه . فلهذا قلنا أنهم قد خرجوا من جملة المسلمين وفارقوا أهل ملة الإسلام فلا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم ولا رطوباتهم ولا تقبل شهادتهم ولا يجوز دفع الزكاة إليهم وغيرها من حقوق الله سبحانه إلى أحد منهم ولا يجوز دفنهم فى مقابر المسلمين ولا الصلاة على أحد من موتاهم ويحكم فيهم بأحكام الكفار ويحكم فى هجرهم وأماكنهم التى غلبوا عليها وحكموا فيها على ساكنيها باتباعهم فى مذاهبهم بأحكام دار الحرب . « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ » [٢] .

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبى وآله وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) الجاهلى قرية من ناحية بني مطر
المقحفى ، معجم البلدان والقبائل ، ص ١١٧ .
(١) سورة الشعراء ، آية ٢٢٧ .